الخوف

محمد شريف

الخوف

تأليف

محمد شريف

تصميم الغلاف: أمنية محمد
التنسيق الداخلي: يوسف الفرماوي
رقم الإيداع : 2021/5424
الترقيم الدولي:978-977-90-8630-9

التوزيع

مؤسسة الضحى للنشر الرقمي والورقي
هاتف وواتس: 01050706050 - 2+
بريد إلكتروني : aldu7a.com@gmail.com
الموقع الإلكتروني: www.aldu7a.com

© جميع الحقوق محفوظة للكاتب
جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو إعادة تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من الكاتب.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage, without the prior permission in writing of the author.

الخوف

تأليف

محمد شريف

القاهرة 2021

استرونج إندبندنت

أشـعر اليـوم بغضـبٍ شـديد بسـبب مشـاجرة وقعـت داخـل «الميكروبـاص»، وأنـا في طريقـي إلى العمـل، عندمـا طلبـت فتـاة عشرينيـة مـن شـاب ثلاثينـي أن يـترك مقعـده لهـا وينتقـل إلى مقعـدٍ آخـر لـكي تتمكـن مـن الجلـوس بجانـب صديقتهـا، فـما كان مـن الشـاب إلا أن فتـح عـلى نفسـه أبـواب الجحيـم عندمـا رفـض طلبهـا قائـلًا بهـدوء:

- لأ معلش مش بحب أقعد ورا.

فوجئـت الفتـاة المتأنقـة المغطـى وجههـا بمسـاحيق التجميـل بمـا يقولـه الشـاب، وأخـذت تسـأل نفسـها عـدة أسـئلة اسـتنكارية:

- ازاي الحيـوان ده يرفـض طلبـي؟! هـو الماكيـاج الـلي أنـا حاطّاه ده كلـه مـش عامـل معـاه أي حاجـة؟! طـب البنطلـون المحَـزَّق ده؟! هـو عايـز يتفـرج ببـلاش ولا إيـه؟! هـو إنسـان مُعقَّـد؟! ده أكيـد إنسـان رجعـي متخلـف! ويمكـن يكـون ذكـوري متعفـن! أو... واسـتفاقت مـن أفكارهـا الشـيطانية بشـأن الشـاب البسـيط، وقالـت لـه بانفعـال:

- يعني أنا بطلب منك بالذوق وانت مافيش أي حاجة خالص؟!

نظر لها الشاب بدهشة وقال بحذر:

- حاجـة ايـه حضرتـك؟! بقـول لـك مـش بحـب أقعـد ورا، أنـا طويل والكنبـة الـلي ورا ضيقـة، وبتكلـم بالـذوق برضـه مـا غلطتـش فيكي.

تَدَخَّل شاب جالس في الخلف وقال باستنكار:

- وايه يعني لما تقوم لها يا أخي؟!

التفت له الشاب الطويل وقال بنفس الهدوء الحذر:

- لو سمحت خليك في حالك.

تدخل رجل خمسيني وقال للشاب:

- انت ماحدش عاجبك ولا ايه؟! ايه قلة الذوق دي؟!

التفت سائق الميكروباص للخلف وهو ينفخ بضيق:

- ما تخلصونا يا جدعان عايزين نتحرك.

رد عليه الشاب الجالس في الخلف:

- ما هو اللي معطلنا يا أسطى.. إنسان قليل الذوق صحيح!

نظر له الشاب بحنق، ورد عليه وهو يحاول أن يسيطر على غضبه:

- لو سمحت ما تغلطش، لو هي مُصممة تقعد جنب صاحبتها ممكن يستنوا العربية اللي بعدها و...

قاطعه الرجل الخمسيني:

- يا أخي ما تنزل انت وتاخد العربية اللي بعدها، انت ماعندكش إخوات بنات؟! بذمتك لو ليك أخت بنت تقبل عليها تنزل في الظروف دي؟!

نظر له الشاب بدهشة:

- ظروف ايه حضرتك؟ الساعة 9 ونص الصبح، والجو لا هو برد ولا هو حر، ومافيش أي حاجة غير طبيعية.

- ده انت اللي مش طبيعي يا أخي، نزله يا أسطى عايزين نشوف مصالحنا.

ولم يستطع الشاب الدفاع عن نفسه أمام الاتهامات التي انهالت عليه، فاضطر إلى النزول من الميكروباص، وجلست فتاة مساحيق التجميل بجانب صديقتها دون أدنى شعور بتأنيب الضمير.

كنت قد فكرت للحظات أن أتدخل لصالح الشاب ولكن خانتني شجاعتي؛ فوضعت رأسي في الكتاب الذي بيدي بعد استسلام الشاب، وحاولت أن أنفصل عن الواقع حتى وصلت إلى عملي ومازالت أحداث المشاجرة تتصارع بداخل رأسي.

دخلت المكتب وأنا أستشيط غضبًا، ولم أجد ما أفعله سوى كتابة منشور على موقع «فيسبوك» أحقق به انتصارًا وهميًا للشاب حتى وإن خسرت بعض- أو كل - صديقاتي على موقع الواقع الافتراضي.

وكتبت:

لم يعد الأمر مثيرًا لدهشتي عندما أتصفح حساب أنثى على موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» وأرى أن لها عددًا كبيرًا من المتابعين (*followers*) رغم أنها ليست من المشاهير، ولا تقدم محتوى ذا قيمة، فقط هي أنثى، أنثى أرادت أن تشعر بأهميتها وتعوّض إحساسها بالنقص من خلال وجود عدد كبير من المتابعين الطامعين -بالطبع- في أنوثتها التي لا تمتلك غيرها، والطريقة سهلة جدًا ومعروفة، تقبل الفتاة جميع طلبات الصداقة المُرسلة إليها فيصبح لديها عدد كبير جدًا من الأصدقاء المجاملين والمعبرين عن

إعجابهم بكل ما تنشره -حتى لو كان مسروقًا من حساب ذكر لم يجد حتى من يبصق في وجهه- وتأتي المرحلة التالية بإتاحة خاصية المتابعة بعد نشر عدد من الصور الشخصية التي تم التقاطها بهاتف محمول باهظ الثمن مدعمة كاميراته بـ «فلاتر» جاهزة تجعل البشرة صافية والصور براقة.

«إذا نشرت الفتاة صورها عبر مواقع التواصل الاجتماعي فهي سيئة السلوك، وقد تقدم تنازلات»... هكذا يفكر الذكر المصري، حتى لو تظاهر بعكس ذلك.

عدد لا بأس به من الأصدقاء... عدد أكبر من المتابعين الذين يعبرون عن إعجابهم بكل ما تنشره، ويحبذا لو كانت تنشر لنفسها فيديوهات وهي تثرثر في «الفاضية والمليانة»... فقد أصبح الحساب مؤهلًا تمامًا للتكاثر.

تثرثر الفتاة وتنشر كل ما يدور في خلدها من حماقات ومسروقات، والذكر المصري «الهائج» يعبر عن إعجابه أمام الجميع على أمل أن تتيح له «الفريسة» التعبير عن إعجابه بها في غرفة دردشة خاصة.

تستيقظ الفتاة من نومها فتفتح هاتفها وحسابها على «فيسبوك» وتكتب «صباح الخير».. فقط «صباح الخير»، فينهال عليها وابل من تعليقات قطعان المتابعين من عينة: «صباح الفُل يا قمر، صباح الجمال، صباح التفاؤل... إلخ من اللاشيء سوى إثبات التواجد»، وقد ينسى أحدهم نفسه ويتعجل الانتقال إلى مرحلة غرفة الدردشة الخاصة بالفتاة ويكتب لها تعليقًا يقول فيه: «انتي قُلتي كل اللي أنا كنت عايز أقوله».

وبغض النظر عن كونها لم تقُل شيئًا... ولكن إذا كنت تريد أن تقوله، فما الذي منعك من قوله؟! سؤال لا يستحق التفكير و... ها هو حسام، زميلي في العمل، قد دخل للتو من باب المكتب وهو يجفف عرقه ويلتقط أنفاسه ويبدو عليه غضب شديد حاول السيطرة عليه وهو يلقي التحية:

- السلام عليكم.

نرُد عليه جميعًا:

- وعليكم السلام.

جلس حسام أمام مكتبه وفتح الحاسوب (الكمبيوتر) وهو ينفخ بغضب، ويلتفت حوله باحثًا عمن يسأله عن سبب غضبه، فأنقذه معتز - الجالس بجانبه - بسؤال:

- مالك يا أسطى ع الصبح؟

- مخنوق، مش طايق نفسي، أنا بفكر جديًا أشيل من دماغي موضوع الجواز ده.

ضحكنا جميعًا ونحن ننتظر حكايته الجديدة عن الفتاة التي ذهب إلى بيت أهلها ليتعرف عليها ويرتبط بها على طريقة «زواج الصالونات».

حسام يبلغ من العمر ستة وعشرين عامًا، يعمل محررًا صحفيًا ومترجمًا في عددٍ من المواقع الإلكترونية، من أسرة محافظة ويبحث عن عروس مناسبة، التقى أكثر من فتاة بنفس الطريقة ولم يحظ بأكثر من اللقاء ثم الرفض الذي يأتي في الغالب من جانب الفتاة التي تتخوف من صراحته وشروطه التي لم تعد شروطًا عادية

ومقبولـة لـدى فتيـات باحثـات عـن حريـة مطلقـة.

- أنـا مـش حابـب إنـك تشـتغلي، وبالنسـبة لموضـوع الخـروج أكيـد مـش هحبسـك في البيـت.. بـس مـش هنخـرج كتـير، في المعقـول يعنـي.

كان حسـام يكـرر هـذه الـشروط في كل مـرة يجلـس فيهـا مـع فتـاة وينتهـي الأمـر برفضـه.

سألته سلوى-زميلتنا في الموقع الإلكتروني الذي نعمل به-:

- شوفت عروسة جديدة ولا ايه؟

- وياريتني ما شوفت!

- قلت نفس الشروط برضه؟.. ما قلت لك بلاش.

نهض حسام من مكانه بانفعال:

- بلاش ليه؟ هو أنا بقول حاجة غريبة؟!

واقترب مني:

- يـا عـم شريـف احضرنـا والنبـي.. الـشروط الـلي أنـا بقولهـا دي غريبـة؟!

قلت له وأنا أمنع نفسي من الضحك:

- بُـص.. الـشروط عاديـة، وكويـس إنـك صريـح مـن البدايـة.. بـس انـت ممكـن تكـون بتقـول شروطـك بطريقـة تخَـوّف.

- واللـه أبـدًا، أنـا بتناقـش عـادي، وبفضـل أقـول لهـا إني حابـب

أسـمع رأيهـا، وإنهـا لـو شـايفاني غلطـان أنـا مـش هتضايـق، واحنـا ممكـن نتناقـش ونوصـل لحـل يـرضي جميـع الأطـراف.

- أومال ليه بتترفض؟!

- مـش عـارف، بـس بتاعـة امبـارح دي طلعـت لي بحـوار جديـد تمامًـا.

- حوار ايه؟

- قـال بتقـول لي إن ليهـا شـلة مـن أيـام الجامعـة ومتعوديـن كل شـهر يتجمعـوا كلهـم ويخرجـوا!

- شلة ايه؟ صاحباتها يعني؟

- ولاد وبنات.

كان مـن الصعـب علـيَّ أن أرد عـلى مـا يقولـه بسـبب وجود سـلوى، وجهـاد، مديـرة الموقـع، الجالسـة بجانبـي، والتـي مازحته:

- عادي يا حسام، خليك اسمه ايه ده open-minded.

ضحكنا جميعًا وقالت سلوى:

- وانت طبعًا رفضت!

رد حسام:

- أكيـد طبعًـا... قلـت لهـا ده مـش مناسـب ليَّـا، وإن أنـا ماليـش صاحبـات بنـات ومـا أقبلـش إن يكـون ليـكي أصحـاب شـباب.

وجَدْت أن المناقشة ستتكرر ففضَّلت أن أنهيها وقلت له:

- بـص.. انـت صـح.. ومـا تتنازلـش.. لازم تقـول شروطـك مـن الأول وتتفقـوا عشـان مـا تتعبـش بعـد كـده.

- أنـا بقيـت حاسـس إن شروطـي دي مـش طبيعيـة وإني جـاي مـن كوكـب تـاني.

ابتسمت وقلت له:

- هما اللي مش طبيعيين.. اتغيروا.. اتسعروا!

نظـرت لي جهـاد وهـي تضحـك، وهَمَّـت سـلوى بالوقـوف للاشـتباك معـي، فحـاول حسـام تهدئـة الموقـف قبـل أن يشـتعل، فقـال بصـوت مرتفع :

- لأ يا عم مش للدرجة دي.

أردت أن أنهي الحوار وأعود إلى منشور الفيسبوك فقلت له:

- يمكن.

أكملـت كتابـة المنشـور وراجعتـه جيـدًا و.. وحذفتـه قبـل أن أنشره، وقلـت لنفسي:

- لـن يسـتفيد الشـاب شـيئًا مـن منشـوري الـذي لـن يعـود عـليَّ سـوى بخسـارة صديقـات الفيسـبوك الـلاتي ألجـأ إليهـن أحيانًـا لتضييـع الوقـت.

مـرت بضعـة أيـام وأنـا أحـاول أن أتنـاسى مشـاجرة الميكروبـاص، وأتعامـل بحـذر شـديد في المواقـف المشـابهة، فبمجـرد أن تطلـب منـي فتـاة تـرك مقعـدي لهـا، أتركـه عـلى الفـور، خصوصًـا إذا كانـت ترتـدي

ملابـس ضيقـة وتضـع مسـاحيق التجميـل.

***

الجـو اليـوم شـديد الـبرودة وأشـعر بصـداع شـديد يـكاد يفتـك بـرأسي، يبـدو أنني مقبـل عـلى «دور بـرد» حـاد، ولكنـي مضطـر إلى الذهـاب للعمـل.

ذهبـت وسـمعت قصـة «حسـام» الجديـدة عـن العـروس التـي رفضتـه؛ ولم يكـن لـدي جديـد أقولـه لـه فكـررت نفـس النصيحـة:

- بـص.. انـت صـح.. ومـا تتنازلـش.. لازم تقـول شروطـك مـن الأول وتتفقـوا عشـان مـا تتعبـش بعـد كـده.

اشـتد عـليَّ الإعيـاء فغـادرت العمـل مبكـرًا عـن موعـدي بنحـو سـاعتين وقبـل أن يداهمنـي الليـل ببرودتـه الشـديدة، وبقـى حسـام حتـى السـابعة.. وليتـه مـا بقـى.

بجانـب بـرودة الجـو الشـديدة كانـت هنـاك مبـاراة القمـة بـين فريقـي «الأهـلي» و«الزمالـك» في السـاعة الثامنـة، وهـو مـا يعنـي أزمـة في المواصـلات بدايـة مـن السـابعة وحتـى العـاشرة وربمـا قبـل وبعـد ذلـك.

وصلـت إلى المنـزل في السادسـة والنصـف تقريبًـا وتناولـت وجبـة خفيفـة وبعدهـا دواءً للـبرد بـدون استشـارة الطبيـب، وخلـدت إلى النـوم واسـتيقظت في حـوالي الحاديـة عـشرة والنصـف وأنـا أشـعر بتحسُـن.

فتحـت موقـع فيسـبوك وأخـذت أتصفـح بعـض المنشـورات السـخيفة عـن المبـاراة التـي فـاز فيهـا الزمالـك -عـلى غـير العـادة- حتـى فوجئـت بمنشـور غـير متوقـع مـن حسـام.

كتـب حسـام عـن تجربتـه الأليمـة في ركـوب (الميكروبـاص) مـن الموقـف في يـوم شـديد الـبرودة لم يكـن ينقصـه سـوى مبـاراة القمـة، وكيـف أن الفتيـات والسـيدات تعديـن عـلى حقـه في أخـذ دوره بعدمـا انتظـر أكـثر مـن سـاعة ونصـف السـاعة حتـى يـأتي الميكروبـاص.

كان نظـام الموقـف المتعـارف عليـه أن يقـف الذكـور في طابـور والإنـاث في طابـورٍ آخـر، وعندمـا يـأتي الميكروبـاص يركـب سـبعة ذكـور وسـبع إنـاث.

وجـاء الميكروبـاص بعـد طـول انتظـار ففوجـئ حسـام، وغـيره مـن الذكـور، بالإنـاث يندفعـن إلى الميكروبـاص الـذي امتـلأ عـلى الفـور بعـشر إنـاث، وأربعـة ذكـور لم يكـن حسـام مـن بينهـم، فاضطـر إلى الانتظـار نحـو سـاعة أخـرى في الـبرد القـارس وهـو يلعـن ويسـب كل مـا هـو مؤنـث.

وصـل حسـام إلى منزلـه في حـوالي السـاعة الحاديـة عـشر وهـو يرتجـف مـن الغضـب قبـل الـبرد، ولم يجـد أمامـه سـوى العـالم الافـتراضي ليفـرغ فيـه شـحنة الغضـب.

كتـب المنشـور الـذي هاجـم فيـه نوعيـة معينـة مـن الفتيـات بعدمـا حـكى مـا حـدث معـه، واتهمهـن بـ «النطاعـة» وقلـة الـذوق والافـتراء وغيرهـا مـن الأوصـاف اللائقـة، مـع التأكيـد عـلى أنـه لا يقصـد الجميـع.

عَـبَّرت بالطبـع عـن إعجـابي بالمنشـور وفضَّلـت أن يكـون آخـر مـا أقـرأه في يومـي، فأغلقـت الهاتـف وعُـدت إلى النـوم حتـى اسـتيقظت في السادسـة صباحًـا. ومثلـما أنهيـت يومـي السـابق بمنشـور «حسـام» الشـجاع أردت أن أبـدأ يومـي الجديـد بـه، ففتحـت الفيسـبوك ودخلت عـلى حسـاب حسـام ولم أجـد المنشـور، أغلقـت الهاتـف وفتحتـه مـرة أخـرى وبحثـت كثـيرًا عـن المنشـور ولم أجـده!

فكَّـرت في مراسـلة حسـام للاستفسـار عـن سـبب عـدم وجـود المنشـور ولكنـي فضَّلـت الانتظـار حتـى أراه في العمـل، وبمجـرد أن وصلـت توقفـت بجانبـه وأنـا أسـدد نظـراتي إليـه وهـو يتحاشـاني.

وعندمـا لم أتزحـزح مـن مـكاني، ومـع اسـتمراري في تسـديد النظرات إليـه لم يجـد مفـرًا مـن النظـر إليَّ قبـل أن يأخـذ نفسًـا عميقًـا ويقـول لي:

- لـو شُـفت كَـم الهجـوم الـلي أنـا اتعرضـت لـه، انـت نفسـك كنـت هتقول لي امسـح البوسـت.

- عادي كنت ترد عليهم وتديهم بالجزمة.

ابتسم بمرارة وقال لي:

- جزمة ايه!! الموضوع كان هيوصل لقطع العيش.

- جهاد كلمتك ولا ايه؟

- لأ يـا عـم جهـاد مـين؟! جهـاد دخلـت تهـزر في الكومنتـات عـادي.. بـس عنـدي مديـرة تانيـة خـدت الموضـوع عـلى قلبها.

- قالت لك ايه؟

- مـا قالتـش حاجـة.. بـس في حـد وصَّـل لي إنهـا مـش عاجبهـا البوســت، وأنــا بصراحــة خُفــت.. ولازم أخــاف...

وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يستطرد بانكسار:

- إحنا مش قدهم.

تمت

الطريق

اعتـدت ولمُدة ثلاثـة أشـهر تقريبًـا أن أعـود إلى المنـزل، بعـد انتهـاء اليـوم الـدراسي، برفقـة صديقـي حسـام عبـد اللطيـف، وبعدمـا أرادت أمـي أن تُحَمِلنـي جـزءً مـن المسـئولية مـع بدايـة العـام الثـاني لي في المدرسـة الابتدائيـة الواقعـة بشـارع الأهـرام.

لم يكـن المنـزل بعيـدًا عـن المدرسـة كثـيرًا... كُنـا نعـبر شـارع الأهـرام ونسـلك أحـد الشـوارع المؤديـة لشـارع الملـك فيصـل الرئيـسي، المـوازي لشـارع الأهـرام، ومنـه إلى المنـزل الواقـع في شـارع فرعـي صغـير، إلا أن هـذا اليـوم كان مختلفًـا كثـيرًا.

بـدأ اليـوم كغـيره مـن الأيـام بعدمـا خَرَجْـت مـن منـزلي في تمـام السـاعة السـابعة إلا ربـع صباحًـا وتوجهـت لمنـزل حسـام المقابـل لمنـزلي، وأخـذت أنـادي عليـه مـن أمـام بـاب منزلـه المغلـق بسلاسـل حديديـة غليظـة.

لم تكـن شـقة حسـام تطـل عـلى الشـارع، فـكان عـليَّ أن أنـادي بصـوت جَهْـوَرِيّ مرتفـع أتخيلـه وهـو يصـل إليـه في الـدور الرابـع بعـد أن صعـد – الصـوت - سـلالم المنـزل المتهالكـة وطـرق بـاب شـقته، إلا أن ذلـك لم يحـدث عـلى الإطـلاق، فقـد اعتـدت واعتـاد إيهـاب حلمـي- صديـق أخـي الأكـبر الـذي يقطـن بالطابـق الأرضي بنفـس المنـزل- أن يسـتيقظ عـلى صـوتي المزعـج، ويفتـح لي البـاب بعينين نصـف مغمضتين وهـو يمنـع نفسـه مـن إطـلاق الشـتائم نحـوي احترامًـا وتقديـرًا لأخـي.

فتـح لي إيهـاب بـاب المنـزل فصعـدت إلى الطابـق الرابـع وطرقـت بـاب الشـقة لأجـد حسـام هـو الآخر يفتـح لي بعينـين نصـف مغمضتين؛ فانتظرتـه أمـام بـاب شـقته نحـو ثلـث السـاعة ليخـرج لي وهـو يرتـدي

باقي ملابسه على سلم المنزل، ويتناول سندوتش الجبن الرومي الذي لم يكن يفارقه في طريقنا إلى المدرسة.

وصلنا إلى شارع فيصل الرئيسي لنجده شبه خالٍ من التلاميذ؛ فأدركنا أننا تأخرنا على موعد طابور الصباح؛ فطلبت من حسام أن يُسرع في خطواته حتى لا نتأخر على الحصة الأولى.

قررنا في ذلك اليوم، ولسببٍ غير معلوم، أن نسلك شارعًا جانبيًا آخر - في طريقنا من شارع فيصل إلى شارع الأهرام- غير الذي اعتدنا عليه، وفي منتصف الشارع الجديد لاحظنا وجود تلال صغيرة من الرمال، و«شكائر» أسمنت وجِبس مرصوصة بعناية، وعرفنا بسهولة أنها خاصة بعمارة جديدة تحت الإنشاء.

في البداية أغرتنا تلال الرمال للعب عليها، فاستسلمنا ولعبنا نحو عشر دقائق قبل أن نشعر بالملل ونقرر خوض تجربة جديدة.

نظرنا إلى قطعة الأرض المنخفضة عما حولها، والتي أعجبنا شكلها المميز بالحديد المتقاطع أفقيًا ورأسيًا مكونًا ما يعرف باسم «الحصيرة»، والتي توضع بعد الحفر كجزء من أساس العمارة، ونظرت إلى صديقي ونظر إليَّ قبل أن نقرر العبور من فوق الحصيرة الحديدية، من الشارع الجانبي الجديد إلى شارع جانبي آخر.

في البداية لاحظت تخوفه فقررت أن أبادر بالنزول إلى الحصيرة وأخذ بعض الخطوات عليها حتى يتشجع ويتبعني.. وعندما وصلت إلى منتصفها تقريبًا التَفَّت للخلف ونظرت إليه وصحت بصوتٍ مرتفع:

- يلا.. هتفضل واقف كده؟!

نظـر إليَّ وإلى الحصـيرة بـتردد، ثـم قـاوم خوفـه ونـزل وأخـذ بضـع خطـوات قبـل أن تتعـثر إحـدى قدميـه ويَسـقُط عـلى الحصيرة ويُسـقِط قلبـي معـه وأنـا أقـف في مـكاني أحـاول التغلـب عـلى ارتبـاكي وأشـجعه عـلى النهـوض:

- قوم.. قوم ما تخافش.

لم يجـد أمامـه إلَّا أن يحـاول النهـوض، وعندمـا نجـح لم أجـد أمامـي إلَّا أن أشـجعه عـلى مواصلـة التقـدم:

- يلا ما تخافش.

وجــدت أن الكلــمات وحدهــا غــير كافيــة لتشــجيعه، فتابعــت سـيري عـلى الحصـيرة بتركيزٍ شـديد حتـى لا أسـقط مثلـه.. ونجحـت في الوصـول إلى نهايتهـا والصعـود للشـارع الآخـر.

صعـدت والتفـت نحـوه لأجـده تصبـب عرقًـا -رغـم بـرودة الجـو- فخفـق قلبـي أكـثر وأنـا أشـعر بتوتـره وأشـاهد حيرتـه وتعـثره.

- ما تخافش.

لم أجـد مـا أقولـه غـير ذلـك، ولم يجـد مـا يفعلـه غـير أن يسـتمر في مواصلـة سـيره وقـد تحـول توتـره وقلقـه إلى خـوف حقيقـي ظهـر بوضـوح عـلى ملامحـه التـي انعكسـت عـلى ملامحـي وأنـا أهـرول ناحيـة شـابين يسـيران في الشـارع لأطلـب منهـما المسـاعدة:

- والنبي يا عمو والنبي إلحقني.

التفت لي الشابان قبل أن يرد عليَّ أحدهما:

- مالك يلا؟

- أخويا وقع في الحفرة اللي هناك دي ومش عارف يطلع.

ظهر الجزع على وجههما وهما يتبعاني إلى «الحفرة»، وما أن وصلنا إليها حتى صاح الشاب الآخر:

- يخرب بيتك.. انت ايه اللي نزلك هنا؟

كدت أبكي توسلًا للشابين بعدما شعرت أنهما قد يتخليا عن مساعدتنا عقابًا لنا على استهتارنا:

- والنبي يا عمو والنبي طلعه، ومش هنعمل كده تاني، معلش والنبي، معلش.

لم يردا عليَّ وتحرك أحدهما ونزل إلى الحصيرة بخِفة حسدته عليها، وفي أقل من دقيقتين كان قد وصل إلى حسام وحمله على كتفه، ومعه حقيبته، وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يبدأ رحلة العودة ليُسلم حسام بحقيبته إلى صديقه الذي ساعده على الصعود من «الحفرة».

لم أكن أصدق أن حسام نجا من هذا المأزق اللعين، ولم أجد كلمات مناسبة أشكر بها الشاب البطل الذي أنقذه، فوضعت يدي في جيبي قبل أن أمدها له بمصروفي الضئيل:

- شكرًا يا عمو والله.

- ايه ده؟

- ده ربع جنيه.. مش معايا غيره والله.

- انـت عبيـط يـلا!! يـلا خـد أخـوك والحقـوا المدرسـة زمانكـوا اتأخرتـوا.

سـعدت كثـيرًا بشـهامته التـي حافظـت لي عـلى مـصروفي، وأخـذت حسـام وأسرعنـا إلى المدرسـة التـي وصلنـا إليهـا في منتصـف الحصـة الأولى لتعاقبنـا مُدرسـة الفصـل عقابًـا كنـا نعـرف أننـا نسـتحقه.

مـرت الثـلاث حصـص الأولى بشـكلٍ طبيعـي قبـل أن نخـرج إلى «الفُسـحة» التـي وجدتهـا فرصـة مناسـبة لأحـكي لزملائنـا عـن مغامرتنـا الصباحيـة، والتـي أضحكتهـم كثـيرًا وجعلـت حسـام مـادة للسـخرية لنحـو 15 دقيقـة قبـل أن نعـود إلى الفصـل.

سـخر الزمـلاء مـن حسـام الـذي لم يجـد كلـمات مناسـبة يـبرر بهـا خيبتـه، تلـك الخيبـة التـي كادت تحـول المغامـرة إلى كارثـة؛ فضحـك معنـا ليخفـي مشـاعره الحقيقيـة تجاهـي.

انتهـى اليـوم الـدراسي وخرجـت مـع حسـام مـن بـاب المدرسـة، وعندمـا سـألته عـن سـبب صمتـه منـذ انتهـاء «الفُسـحة» توقـف فجـأة ونظـر لي نظـرات لم أفهـم معناهـا، وقـال بهـدوء:

- أنا مش هرَوَّح معاك النهارده.

نظرت له بدهشة وأنا لا أستوعب ما يقوله:

- ازاي؟

- أصل أنا رايح عند خالتي... رَوَّح انت لوحدك.

أذهلني كلامه؛ فحاولت أن أتمالك أعصابي:

- أرَوَّح لوحدي ازاي؟!

- عادي.. انت مش عارف الطريق؟!

وقبل أن أرد انصرف من أمامي، وعبر شارع الأهرام مسرعًا وأنا واقف أنظر إليه بذهول، وأحاول أن أقنع نفسي بأنه يمزح معي مزاحًا ثقيلًا وسيعود إليَّ، وقلت في نفسي: «هو يضحك وسيرافقني إلى المنزل كما تعودنا»... ولكنه لم يفعل.

تابع حسام سيره، دون أن يلتفت للخلف، ودخل في شارع جانبي.. واختفى. وتركني أنظر حيث اختفى في انتظار أن يعود مرة أخرى وهو يضحك... ولكنه لم يعد.

وجدت نفسي أقف أمام باب المدرسة وحيدًا مجبرًا على الذهاب إلى المنزل بمفردي لأول مرة بعدما تخلت أمي عني باتفاقٍ مسبق، وتخلى عني حسام بدون اتفاق.

دارت الدنيا من حولي وأنا لا أجد من أستغيث به، فاستسلمت لفكرة الضياع وأنا متأكد من أنني لن أستطيع الوصول إلى المنزل بمفردي... ورغم ذلك عبرت شارع الأهرام وأنا ارتجف ودخلت في أحد شوارعه الجانبية، ومن شدة الخوف انطلقت مسرعًا في طريقي المعتاد وأنا لا أشعر بالدموع التي تسيل على وجهي، حتى فوجئت بأخي الأكبر -قادمًا من الاتجاه المقابل- جزعًا وهو يرى دموعي:

- مالك؟ في ايه؟

- تُهت.

- تُهت ازاي؟

- حسام سابني ومشي... بيقول رايح لخالته، وسابني.

- وبعدين؟

- مش هعرف أرَوِّح.. كنت هتوه ومش هتلاقوني.

كنـت أتحـدث دون أن أتوقـف عـن البـكاء، فأمسـك أخـي بيـدي واحتضننــي:

- ما تخافش.

وربـت عـلى كتفـي محـاولًا طمأنتـي قبـل أن يمسـك يـدي ويسـير معــي:

- احنا هنروح أهو.

هدأت قليلًا وسألته:

- انت كنت رايح فين؟

- كنــت جــاي لــك... لمــا اتأخــرت مامــا قالــت لي أروح أشــوفك اتأخــرت ليــه؟.. هــو انــت كنــت بتجــري كــده ورايــح عــلى فــين؟

- مش عارف.

أشار إلى نهاية الشارع قائلًا:

- مش عارف ازاي؟.. انت كده كنت مرَوَّح.

واستطرد:

- مـش البيـت مـن هنـا؟! لمـا تخَلَّـص الشـارع ده كنـت هتلاقـي نفسـك في شـارع فيصـل.

- أه.

- انـت لـو وصلـت شـارع فيصـل ماكنتـش هتعـرف تـروح لحـد البيـت؟

صمَّت وأنا في حيرة من أمري، فتابع:

- انت كده كنت مرَوَّح من الطريق اللي بتمشي فيه كل يوم.

- أه.

تابعنـا سـيرنا وأنـا متشـبث بيـده حتـى وصلنـا إلى شـارع فيصـل الرئيـسي، وكنـت قـد هـدأت وجفـت دموعـي، فقـال لي:

- ده شارع ايه؟

- فيصل.

- المفروض هنمشي ازاي عشان نرَوَّح؟

- هنعـدي الشـارع ونمـشي كـده شـمال لحـد المطعـم، وبعـد كـده نـرَوَّح عـادي.

- طيـب مـا انـت عـارف الطريـق أهـو.. يعنـي لـو أنـا ماكنتـش جيـت لـك كنـت هتعـرف تـرَوَّح عـادي.

- أه بس...

قاطعني بهدوء:

- بس انت كنت خايف.

تمت

انترفيو

«هنبقى نتصل بيك»...

سمعت هذه العبارة كثيرًا... بعدد المقابلات الشخصية التي خضعت لها وأنا أبحث عن وظيفة أبدأ بها حياتي العملية بعد تخرجي في كلية التجارة.. والفارق بين أول مرة أسمع فيها هذه العبارة وآخر مرة سمعتها فارق كبير جدًا.

أول مرة – والمرات التي تلتها - كنت أصدق أنهم سيتصلون بي وإلا فلماذا قالوا إنهم سيتصلون؟!.. وبعد أن انتظرت كثيرًا ولم يتصل أحد، فهمت أنها طريقة مناسبة للرفض.

في البداية كنت أعتقد أن المقابلة الشخصية يكون هدفها الأول والأوحد هو التعرف على مدى قدرة المتقدم على أداء مهام الوظيفة، ولم أكن أعلم أنها اختبارًا للقدرات الشخصية قبل أي شيء آخر، فالقدرة على أداء مهام العمل المطلوبة من السهل اكتسابها بالممارسة، ولا يوجد مانع من حدوث بعض أو كثير من الأخطاء طالما كانت لدى الموظف القدرة على التعامل معها.

عرفت ذلك بعد أكثر من عامين قضيتهم في البحث عن وظيفة بالطرق التقليدية في الإعلانات المبوبة بجريدة الأهرام (عدد يوم الجمعة) وجريدة الوسيط المجانية التي كنت أشتريها بثلاثة جنيهات.

- «لازم واسطة»..

هذا ما أكده لي شاب ضائع مثلي فور انتهائي من مقابلة جديدة، فما كان مني إلا أن تجاهلته وأكملت في طريق البحث حتى تم قبولي في وظيفة بائع وtypist في مكتبة صغيرة براتب 550 جنيهًا و11 ساعة عمل يوميًا كانت تمر عليَّ بإيقاع ضفدعة

تتضـور جوعًـا.

في البدايـة كنـت في غايـة السـعادة لمجـرد قبـولي في الوظيفـة فأقبلـت عليهـا بحـماسٍ شـديد انطفـأ بعـد أقـل مـن أسـبوع عندمـا بـدأ اليـأس يفتـك بي، وكنـت مطالبًـا أمـام نفـسي بالإجابـة عـلى سـؤال لم يكـن يفارقنـي:

- طب وبعدين؟!

أكـثر مـن ثلاثـة أسـابيع وأنـا أبحـث بجدية عـن إجابـة لهذا السـؤال اللعـين، وعندمـا فشـلت قـررت - غـير آسـف - تـرك العمل والعـودة إلى حيـاة العاطلـين وانتظـار المـصروف الشـهري الضئيل.

مـرت شـهور وأنـا أنتظـر حـدوث معجـزة تنتشـلني مـن حيـاة العاطلـين والمـصروف الشـهري التافـه الـذي أجـبرني عـلى البقـاء في البيـت لأطـول فـترة ممكنـة؛ ويبـدو أن أخـي الأكـبر شـعر بالحـزن عـلى حـالي فقـرر مسـاعدتي عـن طريـق أحـد أصدقـاءه الـذي يعمـل في شركـة كبـيرة تقـدم خدمـة الإنترنـت:

- أحمـد مصطفـى هيتصـل بيـك بكـره أو بعـده عشـان هيشـوف لـك شـغل معـاه.

- فين؟

- في الشركة اللي هو شغال فيها.

- هشتغل ايه؟

- أي حاجـة، مـش مهـم، المهـم تشـتغل، هـو هيحـاول يظبـط لـك شـغلانة كويسـة.

اتصل بي أحمد مصطفى بعد يومين:

- سحس الصغنن.. عامل ايه؟

- الحمد لله.

- أحمد قال لك ع الشغل؟

- أه بس ما فهمتش قوي.

- مش مهم، المهم تيجي لي بكره الساعة 10 ونص ف الشركة وتكون حالق دقنك ولابس بدلة.

- هشتغل يعني؟

- بعد ما تعدي الانترفيو _إن شاء الله_.

- طب هي شغلانة ايه؟

- لما تيجي هقول لك، المهم ما تتأخرش.

وصلت الشركة في تمام العاشرة وانتظرت أحمد مصطفى حتى الحادية عشرة وأنا أحاول أن أخمن نوع الوظيفة وأشعر بالقلق من المقابلة الشخصية؛ وعندما وصل اصطحبني إلى مكتبه وأجلسني وسألني وهو يشرب النسكافيه:

- مالك يا سحس؟

- الساعة 11 وعشرة دلوقت، مش المقابلة 10 ونص؟

- لأ المقابلة لسه 12، بس أنا جيبتك بدري عشان أفَهِمَّك تعمل ايه.

- أه، تمام.

- بـص يـا سـيدي، انـت هتشـتغل في الــsales يعنـي هتبيـع خطوط DSL، أنـا كنـت شـغال نفـس الشـغلانة دي أول مـا اشـتغلت هنـا، بعـد كـده روحـت قسـم التسـويق.

قلت له بارتباك:

- بس أنا ماليش في موضوع الـsales ده.. مابعرفش أبيع حاجة.

- مافيـش حاجـة اسـمها ماليـش، المهـم تتقبـل وبعـد كـده هتلاقـي الدنيـا ماشـية معـاك عـادي وهتتعلـم، المهـم تعـدي الانترفيـو.

قلت له وأنا غير مقتنع:

- ماشي.

- بص.. أهم حاجة ما تخافش.. انت عامل ايه في الإنجليزي؟

- كويس، معقول يعني.

- تمـام، عايـزك في الانترفيـو تبـين إنـك لسـه راجـع مـن أمريـكا أول امبـارح في طيـارة السـاعة 11 ونـص إلا خمسـة.

ضحكت رغمًا عني وقلت:

- أعمل ايه يعني؟

- وانــت بتتكلـم حُـط أي كلمـة انجليـزي في نـص الـكلام كـده، يعنـي مثـلًا مـا تقولـش مبيعـات، قـول sales، مـا تقولـش دعـم فنـي، قــول technical support وكــده يعنــي.

- هو الانترفيو بالعربي ولا الانجليزي؟

- بالعربي، بس ممكن في النُص كده تلاقي البت بتاعة الإتش آر ظَرَفِتَك سؤال بالانجليزي، أوعى ترتبك، حتى لو ما فهمتش السؤال قول أي إجابة وخلاص وحاول تتَوّه في الكلام.

لم تكن نصيحة العودة من أمريكا هي الوحيدة، فقد ظل أحمد مصطفى لأكثر من خمس وأربعين دقيقة يوجه لي نصائح كان أهمها ألا أرتبك، ومن كثرة تكراره لهذه النصيحة دخلت المقابلة الشخصية وأنا في شدة الارتباك لأجد فتاة في نهاية العشرينيات من عمرها توجه لي أسئلة سخيفة أجبت عليها إجابات نموذجية لقنها لي أحمد مصطفى... ولكني فشلت في ألا أرتبك.

انتهيت من المقابلة وخرجت من الشركة واتصلت بأحمد مصطفى وأخبرته عما حدث فقال لي:

- طب تمام، يومين كده وهتصل بيك أقول لك عملت ايه.

- ماشي.

اتصل بي أحمد مصطفى بعد يومين وقال لي:

- للأسف يا سحس انت ما اتوفقتش في المقابلة دي، البت بتاعة الإتش آر قالت لي شكله محترم قوي وكان خايف، وده مش هينفع مع العملاء.

لم أجد ما أقوله، فتابع وهو يحاول أن يطمئنني:

- عادي مش مشكلة، أنا ظبطت لك مقابلة تانية في فرع تاني، هتروح يوم الخميس وتعمل اللي قلت لك عليه قبل كده.

كنت قد حاولت في المقابلة الأولى أن آخذ بجميع نصائح أحمد مصطفى، لذا كنت أثق تمام الثقة أن المقابلة الثانية لن تكون أفضل، وفكرت جديًا في صرف النظر عنها، ولكن أخي لم يكن ليسامحني أو يفكر في مساعدتي مرة أخرى، فقررت الذهاب في الموعد المحدد فقط لإثبات الحضور وبعد أن اقتنعت تمامًا أنهم يبحثون عن شخص غير محترم يستطيع خداع العملاء والدخول معهم في مشاحنات ويتحمل سلاطة ألسنتهم، وهي مؤهلات لا أمتلكها.

ارتديت البذلة دون رابطة عنق، وفي طريقي إلى فرع الشركة اشتريت أربع سجائر من نوع «ميريت» الذي كان يدخنه أحمد مصطفى، رغم أن علاقتي بالتدخين كانت قد انتهت بعد أن كنت أدخن نحو خمس سجائر -فقط- في الأسبوع خلال فترة دراستي الجامعية.

وصلت الشركة متأخرًا عن ميعاد المقابلة بنحو ربع الساعة بعد أن تسكعت قليلًا في الشوارع، وقدمت نفسي لموظف الاستقبال:

- محمد حسين... عندي انترفيو هنا.

- مع مين يا أفندم؟

- امممم.. تقريبا رانيا، أو نهى.

واستطردت وأنا أشيح بيدي:

- مش فاكر الاسم الحقيقة.

- امممم.. طب هشوف كده.

أمسـك موظـف الاسـتقبال الهاتـف، ومـا أن بـدأ في إجـراء مكالمـة حتـى قـررت عمـل محاولـة أخـيرة، فأشـعلت سـيجارة عـلى أمـل أن يطـردني مـن الشركـة بلياقـة ويوفـر عـليَّ عناء الخضـوع لمقابلة شـخصية أعـرف جيـدًا أنهـا سـتنتهي بالعبـارة المعتـادة «هنبقـى نتصـل بيـك».

أنهى الموظف المكالمة وقال لي:

- أستاذة رانيا مش موجودة للأسف.

شعرت بسعادة استكثرها عليَّ موظف الاستقبال الذي استطرد:

- حضرتك هتقابل أستاذ مصطفى مدير الفرع.

ولم ينتظر مني رد وأشار لي بالدخول:

- الطُرقة اللي في الوش دي، تالت مكتب على إيدك الشمال.

توجهـت إلى حيـث أشـار لي، ومـا أن وصلـت أمـام مكتـب مديـر الفـرع حتـى ألقيـت السـيجارة عـلى الأرض، ودهسـتها بحـذائي، وفتحت بـاب المكتـب دون أن أطـرق البـاب، واقتربـت مـن مكتـب مصطفـى وجلسـت دون أن أنتظـر إشـارة منـه وقدمـت نفـسي:

- محمد حسين.

- أهلا بيك.

ويبـدو أنـه لم يكـن لديـه وقـت ليضيعـه معي فبـدأ بتوجيه الأسـئلة السـخيفة التـي اسـتقبلتها وأنـا أبتسـم وأجيـب عليهـا بلامبـالاة، ليـس فقـط كشـخص ليـس لديـه مـا يخسره بـل ليـس لديـه أيضًـا مـا يريـد أن يكسـبه.

قطعنا شوطًا لا بأس به من الأسئلة قبل أن يلتقط هاتفه المحمول من على مكتبه ويمد يده إليَّ به ويقول وهو يبتسم ابتسامة صفراء:

- تعرف تبيع لي الموبايل ده؟

قلت له بسخرية وأنا أحاول أن أمنع نفسي من الضحك:

- ايه ده، هو مش بتاعك؟

ضحك وقال لي:

- اعتبره بتاعك انت واقنعني إني أشتريه.

أخذت منه الهاتف وفكرت للحظات قبل أن أضعه على المكتب وأشعل سيجارة وآخذ منها نفسًا عميقًا وأقول له والدخان يتصاعد من فمي:

- الموبايل ده كويس جدًا، لو ما اشتريتهوش هتندم.

- ليه هندم؟

- لو ما اشتريتهوش هتعرف من اللي هيشتريه.

وضحكت بصوت عالٍ وكأني أقول له «اذهب إلى الجحيم أنت والهاتف الملعون».

نظر لي – للحظات - نظرات غير مفهومة قبل أن يقول العبارة التي كنت أنتظرها بفارغ الصبر:

- هنبقى نتصل بيك.

خرجت من الشركة وأشعلت السيجارة الأخيرة معي ولم أتصل بأحمد مصطفى، وألقيت المقابلة خلف ظهري وكأنها لم تحدث.

اتصل بي أحمد مصطفى في اليوم التالي ولكني لم أرد عليه، فقد كنت أعرف أنه سيبلغني برفضي، فأرسل لي رسالة على الهاتف كتب فيها:

- كلمني ضروري.

شعرت بالقلق من رسالته وأنا أفكر في أن طريقتي غير المهذبة مع مدير فرع الشركة قد تكون تسببت لصديق أخي الأكبر في مشكلة ويريد أن يؤنبني بسببها؛ فشعرت بالخجل من الرد عليه أو الاتصال به، حتى فاجأني أخي الذي طرق باب غرفتي ودخل وقال لي:

- اتصل بأحمد مصطفى عشان عايزك.

قلت له بتوتر:

- حصل حاجة ولا ايه؟

نظر لي بدهشة وقال:

- حاجة ايه؟

واستطرد دون أن ينتظر ردي:

- عايزك تكلمه عشان تحَضَّر الورق بتاعك وتعرف هتنزل الشغل من امتى.

تمت

الحادثة

اتفـق معـي عـلى أن يتصـل بي في تمـام العـاشرة مسـاءً، وعندمـا تأخـر عـليّ اتصلـت بـه في المنـزل، فـرَدَّت عـليّ والدتـه بصـوت أنهكـه البـكاء:

- آلو.

- آلو، ممكن أكلم أحمد؟

- أحمد عمل حادثة بالعربية.

التزمت الصمت للحظات قبل أن أتمالك نفسي وأسألها:

- وهو عامل ايه؟

- في العناية المركزة... في القصر العيني الفرنساوي.

شعرت بقلقٍ شديد تغلبت عليه بصعوبة وقلت لها بارتباك:

- إن شاء الله خير.

أنهيـت المكالمـة ونظـرت للسـاعة التـي جـاوزت الحاديـة عـشرة، وارتديـت ملابـسي عـلى الفـور وخرجـت مـن المنـزل وركبـت «ميكروبـاص» أوصلنـي لمحطـة مـترو الأنفـاق حيـث ركبـت في العربـة الأخـيرة منـه والمعروفـة بقلـة ازدحامهـا.

كنـت قـد تعرفـت عـلى (أحمـد إمـام) قبـل نحـو عامـين، وبالتحديد في نهايـة الفصـل الأول لي بكليـة التجـارة، واعتـبرني صيـدًا سـمينًا عندمـا ذهبـت، ذات مـرة، لأسـتذكر دروسي معـه، ووجـد أننـي أذاكـر لـه وليـس معـه، فتمسـك بصداقتـي التـي لم أرفضهـا مـن جانبـي، ربمـا لأنه يمتلـك تلـك السـيارة الحمـراء مـن طـراز فيـات 128 والتـي عرفـت في

تلك الليلـة أنـه اصطـدم بهـا في سـيارة نقـل متوقفـة في مـكانٍ خاطـئ عـلى أحـد الطـرق الرئيسـية وهـو يقـود عـلى سرعـة عاليـة كعادتـه.

كان أحمـد إمـام – الـذي كنـا نناديـه باسـم «إمـو» – يقـود السـيارة عائـدًا إلى منزلـه، وعـلى نفـس الطريـق، وفي سـيارة أخـرى فارهـة، صديقـه عمـرو الـذي كان يجلـس معـه صديقهـما الثالـث هـاني.

ولأن إمـو أراد أن يُثبـت لعمـرو أنـه يسـتطيع أن يتفـوق عليـه في القيـادة، بسـيارته الشـعبية، فقـد انطلـق بالسـيارة بسرعـة جنونيـة وهـو لا ينظـر جيـدًا إلى الطريـق ضعيـف الإنـارة، حتـى فاجأتـه سـيارة نقـل واقفـة عـلى جانـب الطريـق، وسـائقها يدخـن البانجـو.

تهشـمت سـيارة أحمـد إمـام تمامًـا، وتوقـف عمـرو مفزوعًـا، ونـزل مـن السـيارة مـع هـاني الـذي دخـل في نوبـة بـكاء عنيفـة وهـو يـرى الدمـاء متناثـرة عـلى وجـه وملابـس إمـو. وقـد رفـض مستشـفى المعـادي اسـتقباله بسـبب سـوء حالتـه التـي اعتبرهـا المسـئولون بالمستشـفى ميئوسًـا منهـا.

كان عمـرو متماسـكًا بقـدرٍ كبـير كعادتـه، في حـين انهـار هـاني في البـكاء وهـو يتوسـل للمسـئولين في مستشـفى قصـر العينـي الفرنسـاوي أن ينقـذوا صديقـه، فوافقـوا عـلى اسـتقبال الحالـة لـكي يحصلـوا عـلى مبلـغ مـالي كبـير بعـد فشـلهم في إنقـاذ حياتـه.

واتصـل عمـرو بحـازم -زوج شـقيقة أحمـد- الـذي يعمـل ضابـط شرطـة واعتـاد أن ينقـذ إمـو مـن المشـكلات التـي يقـع بهـا:

- ألـو.. أيـوه يـا حـازم.. إحنـا في القـصر العينـي الجديـد.. إمـو عمـل حادثـة.. في العنايـة المركـزة.

اعتاد الرائد حازم أن يخفي مشاكل إمو عن زوجته ووالدتها ووالدها - لواء الشرطة المتقاعد- إلا إنه فشل في إخفاء أمر الحادثة عن زوجته التي لاحظت توتره وأَصَرَّت على معرفة السبب، قبل أن تخبر والدتها التي دخلت في نوبة بكاء شديدة ولم تجد فائدة من الاتصال بزوجها الذي كان متواجدًا بالإسكندرية حيث تعيش زوجته الأخرى.

نزلت من المترو الجديد في محطة (السادات) وفضَّلت أن أتوجه للمستشفى سيرًا على الأقدام حتى أهدأ قليلًا وأستطيع أن أتمالك نفسي عندما أصل.

كنت في الماضي أستمتع بالسير في شارع القصر العيني، إلا إنني وجدته في تلك الليلة مخيفًا لدرجة الموت، فالسيارات التي كنت أستمتع من قبل بمشاهدتها رأيتها في هذا اليوم أدوات موت تكاد تداهمني بسرعة كبيرة وتدهسني تحت عجلاتها، فشعرت بندم، لا فائدة منه، على أنني لم أكمل طريقي بالمترو حتى محطة (السيدة زينب) الأقرب للمستشفى.

وصلت إلى المستشفى ودخلت وقد زاد توتري أكثر عندما وصلت إلى ساحة انتظار صغيرة أمام باب يقود إلى غرف العناية المركزة، ويحرسه عامل يرتدي زي التمريض.

نظرة سريعة إلى الوجوه المترقبة أمام الباب كافية لإثارة الخوف في نفس شخص مثلي حاول التماسك بقدر الإمكان.

اقتربت من العامل، وسألته بتوتر:

- لو سمحت صاحبي اسمه أحمد إمام.. جاي في حادثة عربية.

نظر لي الحارس وقال بهدوء ودون أن يفكر:

- الحالة مستقرة.

شعرت ببعض الطمأنينة وعُدْت خطوات للخلف وأسندت ظهري إلى الحائط قبل أن أرى حازم على بعد خطوات مني وهو يبدو عليه القلق.

كان حازم قد رآني أكثر من مرة وأنا أذاكر مع إمو وسلم عليَّ، ولكنه عندما رآني في تلك الليلة لم يعرني أي اهتمام وكأنه لا يعرفني، وهو ما لم أندهش منه، فقد كان يرى، بحُكم وظيفته، أنه «الباشا» الذي يجب أن يتودد إليه الآخرون، وما عليه إلَّا أن يقبل أو يرفض توددهم.

نصف ساعة مرت عليَّ ثقيلة وأنا أقف في مكاني لا أعرف ما يجب عليَّ فعله، هل أنصرف بعد أن طمأنني العامل أم أنتظر حدوث أي جديد!

تملكني الملل والإرهاق واقتربت أكثر من العامل الذي أثار فضولي بملامح وجهه التي لا تتغير، مثلها مثل طريقة رده على أي أحد يقترب منه.

وقفت على بُعد خطوتين مجاورًا للعامل، وبعد أقل من خمس دقائق اقتَرَبَت منه سيدة أربعينية وسألته عن زوجها الذي يرقد بإحدى غرف العناية المركزة، فما كان منه إلا أن قال لها بنفس الهدوء ودون أن يفكر أو يحاول التأكد من أنه سمع الاسم صحيحًا:

- الحالة مستقرة.

أدركت على الفور أنني عندما سألته لم يعرف من هو أحمد إمام الذي سألته عنه، وأنه مبرمج، بحكم طبيعة مهنته، على هذا الرد، فشعرت بالقلق وابتعدت عنه وجلست على الأرض، ودارت برأسي أفكار سوداء عن مصير إمو، ولم أستوعب أنني يمكن ألا أراه مرة أخرى.

وعلى الرغم من بشاعة فكرة رحيل أحمد إمام بهذه الطريقة وفي هذه السن الصغيرة، إلا إنني عندما تخيلت حازم باشا، ضابط الشرطة المتكبر الذي تجاهلني، وهو ينهار فور سماعه للخبر المؤسف، شعرت بنشوةٍ بالغة استنكرتها وطردت الفكرة الشيطانية من رأسي ودعوت الله أن ينجو صديقي.

نصف ساعة وأنا أحاول طرد كل الأفكار السلبية من رأسي؛ وفجأة فُتح الباب وخرج طبيب يبدو عليه الإرهاق.. اقترب منه حازم بتوتر وسأله برجاء:

- أحمد إمام يا باشا.. عامل ايه؟

نظر له الطبيب بتعالٍ وتابع طريقه دون أن يرُد، فلاحقه حازم بخطواتٍ مرتبكة، وأنا خلفه، وقال له بنفس الطريقة:

- يا باشا.. أحمد إمام اللي جاي في حادثة العربية!

توقف الطبيب بهدوء والتفت لحازم، وقال له ببرود:

- الحالة مستقرة.

تابع الطبيب سيره في حين نظر له حازم باستنكار وبدا عليه أنه يريد أن ينهال عليه بالضرب بسبب تلك الطريقة التي يتعامل بها معه.

قطع رنين هاتف حازم، أفكاره العدوانية، فالتقطه من جيب بنطاله ونظر إلى شاشته قبل أن يأخذ نفسًا عميقًا ويرد على والدة أحمد إمام:

- ألو.. أيوه يا طنط.. لأ تمام ما تقلقيش.. الدكتور لسه طالع من جوه أهو وطمّني.. لأ تمام الحمد لله..

وأخذ نفس عميقًا قبل أن يستطرد وهو يبذل مجهودًا هائلًا للسيطرة على البركان الثائر بداخله:

- الحالة مستقرة.

تمت

كومبارس

«فريد شوقي قال اللي بيبدأ كومبارس بيفضل طول عمره كومبارس»..

كنت أجلس على مقهى «بَعْرَة» بشارع عماد الدين مع بعض زملائي الباحثين مثلي عن الشهرة والثراء المادي تحت ستار عشق الفن، عندما سمعنا أحدهم وهو يردد الجُملة التي نسبها للفنان الراحل، فنظر بعضنا إلى بعض، وكل منا ينتظر الآخر أن يُعلق.

ولأننا لم يكن لدينا طريقًا آخر نسلكه سوى العمل ككومبارسات، على أمل أن نترقى في السلم الفني إلى تمثيل أدوار صغيرة تكبر بضربة الحظ، التزمنا الصمت، وجاء محمد جمعة، الريجيسير، لينقذنا من هذا الموقف، فجلس معنا دون استئذان وسألنا:

- ايه يا فنانين، معاكوا حاجة ولا لسه؟

رد عليه عادل، الذي جاء من كفر الشيخ إلى القاهرة باحثًا عن النجومية، بحزن مصطنع:

- لسه والله يا فنان.

كانت أقصى درجات الاحترام والتقدير في عالم الكومبارسات والريجيسيرات أن يقول أحدهم لزميله «يا فنان».

قال محمد جمعة:

- طب ايه رأيكوا تنزلوا حاجة تاريخي؟

قال له عمرو الذي كان يرى نفسه أكثر وسامة من الممثل الراحل، رشدي أباظة:

- فيلم ايه؟

نظر له محمد جمعة باستنكار وقال:

- فيلـم ايـه يـا فنـان؟! هـو احنـا بنعمـل أفـلام تاريخيـة؟! ده المسلســل بتــاع فــارس جــلال.. «الظاهــر بيــبرس».

نظر عادل لعمرو وقال:

يـا عـم مـش هتفـرق فيلـم ولا مسلسـل.. انـت كـده كـده كومبارس حقير .

والتفت لجمعة وسأله:

- فين الأوردر ده يا أستاذ جمعة، وعلى كام؟

- بكره في القلعة الساعة 12 الضهر.. على 20 جنيه.

نظـر لي عمـرو وهـو «يلـوي بـوزه»، ففهمـت أنـه يطلـب منـي أن أتفـاوض نيابـة عنـا جميعًـا، فقلـت لمحمـد جمعـة:

- قليـل 20... التاريخـي بيبقـى بهدلـة، وبيركبـوا لنـا شـنبات ودقـون ونقعـد نشـم كُولـة لحـد مـا نتسـطل... واللـه أنـا بخـاف مـن الكُولـة الـلي بيلزقـوا بيهـا الشـنبات والدقـون دي.

قال جمعة وهو يهم بالنهوض:

- هو ده اللي موجود، فكروا وأنا قاعد فوق في المكتب.

أمسكه عادل من كُم البلوفر الأجرب الذي يرتديه:

- استنى بس يا فنان.. هيبقى في وجبة ولا وجبتين؟

- اتنين.

نظر لنا عادل وقال:

- خلاص، طالما وجبتين يبقى ماشي.

أعطى لنا محمد جمعة تفاصيل «الأوردر» وأكد على ضرورة الحضور في تمام الساعة الحادية عشرة ظهرًا أمام قلعة صلاح الدين الأيوبي، وانصرف وتركنا، فقال عمرو لعادل باستنكار:

- وجبة ولا وجبتين؟! هو ده اللي يهمك؟!

- بالنسبة لي أنا بتفرق عشان قاعد لوحدي... وكده كده كنت هوافق عشان ألحق أجيب إيجار الأوضة قبل أول الشهر.

***

وصلت أمام القلعة فوجدت عمرو وعادل ومعهما ثلاثة آخرين ينتظرون الريجيسير وهُم يحدقون في السائحات الشقراوات، وعندما أفاقوا من أحلامهم الجنسية على وجودي قال لي عمرو:

- اتأخرت كده ليه مش قُلنا الميعاد11؟!

ضحكت وقلت له:

- طب ما أنا جيت 12 أهو وهو لسه ماجاش.. الريجيسير لما يقول لك 11 تروح 12 عشان الميعاد واحدة.. لسه ما فهمتش النظام؟!

قال لي وهو ينفخ بضيق:

- علـى رأيـك.. واللـه مـا كنـت عايـز آجـي.. احنـا شـكلنا بنضيـع وقـت ومـش هنوصـل لحاجـة.

- عادي بقى.

وصـل محمـد جمعـة في تمـام الواحـدة وانتظَرْنـا باقي الكومبارسـات حتـى الواحـدة والنصـف، ودخلنـا القلعـة دون دفـع قيمـة التذكـرة بعـد أن أخبرنـا رجـال الأمـن أننـا تابعـين لفريـق عمـل المسلسـل، لنشـعر بأهميتنـا.

- احنا عندنا تصوير هنا.

- انتوا تبع المسلسل؟

- أه.

- اتفضلوا.

دخلنـا القلعـة ومشـينا نحـو ربـع السـاعة حتـى وصلنـا إلى موقـع التصويـر فوجدنـا الفنانـين المشـهورين، منهـم مـن يقـوم بتصويـر مشـاهده ومنهـم مـن يرتـدي ملابـس الشـخصية التـي يؤديهـا في المسلسـل ويضـع الماكيـاج.

سـألنا أحـد مسـاعدي المخـرج عـن موعـد وقوفنـا أمـام الكامـيرا فقـال وهـو يشـيح بيـده باحتقـار:

- لسه بدري عليكوا، اقعدوا على جنب دلوقت.

كنـا قـد اعتدنـا، مـن المـرات السـابقة، عـلى تلـك الطريقـة في التعامـل، خاصـةً مـن مسـاعدي المخـرج عديمـي الأهميـة. وعـن نفسـي

كنت قد قررت أن أتجاهل تلك الإهانات طالما كانت موجهة للجميع وليس لي بشكلٍ شخصي، فالتفَّت لعادل وعمرو وقلت لهما:

- ما تيجي ناخد لفة في القلعة، أنا عمري ما جيت هنا.

وافق عادل على الفور وكأنه يريد أن يهرب من مساعد المخرج، فقال بحماس:

- يلا.

أخذنا جولة في القلعة استمرت لنحو ساعة ونصف الساعة قبل أن نعود إلى مكان التصوير وننتظر كالعادة... فقد كان الانتظار هو أهم ما يميز مهنة الكومبارس.. تصل إلى مكان لقائك بالريجيسير وتنتظر، وعندما يصل تنتظر باقي المجموعة، وعندما تصل إلى مكان التصوير تنتظر حتى يحين وقت وقوفك أمام الكاميرا. وعن الوجبة أو الوجبتين فقد كنا ننتظر أن يأكل الفنانون حتى يتذكرنا مسئول الإنتاج بوجباتنا التي كانت بالطبع أقل جودة.

انتظرنا في هذا اليوم كثيراً... حتى السابعة مساءً قبل أن يتذكرنا أحدهم ويطلب من مسئولي الملابس والماكياج أن يجهزونا للتصوير.

ارتدي عادل ملابس خادم بشارب ضخم، وارتدي عمرو ملابس عبد بـ«سكسوكة» شكلها مثير للسخرية، في حين ارتديت أنا ملابس جُندي أشعرتني بالفخر وأنا أمسك بالسيف المصنوع من الألمونيوم وأتخيل مساعد المخرج وقد رآني وأحضر لي حصانًا عربيًا أصيلًا

وطلب مني المشاركة في معركة حربية طاحنة تنتهي بحصولي على دور كبير في المسلسل.

سرحت بخيالي كعادتي قبل أن أفيق في حوالي التاسعة على صوت مساعد المخرج الذي تحدث معنا باحتقار:

- تعالى انت اللي لابس عسكري.

التفَّت لمصدر الصوت، وتوجهت إلى مساعد المخرج وأنا أشعر بالقلق من طريقة تعامله الغليظة.

اصطحبني إلى داخل أحد مباني القلعة وصعدنا السلالم المظلمة وأنا أشعر برهبةٍ شديدة، خصوصًا عندما تذكرت قصة مذبحة القلعة التي لم أكن أعرف تفاصيلها، فقط هي مذبحة وحدثت في القلعة.

وصلنا إلى طاقم العمل وتعرفت من بينهم على الممثل حسن عبدالجواد الذي كان يضع لحية خفيفة لونها بني غامق ويقف بجانب المخرج يستمع لتوجيهاته.

أوقفني مساعد المخرج كحارس على أحد الأبواب التي عرفت من كلام المحيطين بي أنه باب سجن، وقال لي بلهجته الفظة:

- هتقف هنا وانت فارد نفسك كده، وأوعى تبص للكاميرا.

بمجرد أن قال لي جملته الأخيرة، نظرت بشكل تلقائي إلى الكاميرا، فصاح بيّ بصوت مرتفع:

- يا ابني بقول لك أوعى تبص للكاميرا، انت ما بتفهمش!!

أردت أن أقـول لـه إننـي أتأكـد مـن مـكان الكامـيرا حتـى أتجنـب النظـر إليهـا عندمـا يبـدأ التصويـر، ولكـن ارتبـاكي منعنـي فـأشرت إليـه بيـدي معتـذرًا.

«يلا يا جمااااعة... هنصووووور»..

بمجـرد أن قـال المخـرج هـذه العبـارة وبـدأ العـد التنـازلي الـذي يبـدأ بالرقـم (خمسـة) تأهـب الجميـع والتزمـوا الصمـت واختفـوا وراء الكامـيرات، فدخـل حسـن عبـد الجـواد الـكادر مكبـلًا بسلاسـل حديديـة، ويمسـك بـه حارسـان، حتـى وصلـوا إلى بـاب السـجن وقـال لي أحدهـما بلهجـة غليظـة مصطنعـة:

- افتح الباب.

تظاهـرت بأننـي أفتـح بـاب السـجن بالمفتـاح ثـم دفعتـه وأفسـحت الطريـق لهـما ليصطحبـا «عبدالجـواد» إلى الداخـل قبـل أن يخرجـا ويقـول لي الحـارس بنفـس الطريقـة:

- اقفل الباب.

جذبـت البـاب بعنـف وتظاهـرت بأننـي أغلقـه بالمفتـاح وعُـدت إلى مـكاني ولم أنـس أن «أفـرد نفـسي».

Cuuuuuuuuuut.. اللي بعده

قالهـا المخـرج فعـادت الحيـاة إلى طبيعتهـا، وسـمعنا صـوت الأنفاس التـي كانـت مكتومـة، وعـدت أنـا إلى وقفتـي الطبيعيـة وأنـا أشـعر بالفخـر بعدمـا أديـت المهمـة المطلوبـة بنجـاح.

تلفَّت حولي وأنا لا أعرف ما يجب عليَّ فعله، فقال لي مساعد المخرج بنفس لهجته الغليظة:

- زي ما انت في مكانك، في مشهد تاني.

سعدت كثيرًا عندما علمت أنني سأظهر في مشهدين وليس مشهد واحد، واعتبرتها خطوة جيدة في طريق النجومية، ووجدت أنه من حقي أن أستريح قليلًا حتى يقُوموا بتحضير المشهد الثاني، فجلست على الأرض وأسندت رأسي إلى الجدار العتيق وأغلقت عيني وغفوت دون أن أشعر، واستيقظت على صوت المخرج:

- يلا يا جماعة، هننام ولا ايه!! صحي اللي نايم ده، يلا faiiiiiiive.

استيقظت مفزوعًا ووقفت في مكاني «فاردًا نفسي» والتفَّت حولي بحذر فوجدت حسن عبد الجواد بلحية بيضاء طويلة فشعرت بالدنيا تدور من حولي وأنا أسأل نفسي بذهول:

- هو أنا نمت كام سنة؟!

ويبدو أن مساعد الفنان حسن عبد الجواد (اللبيس)، الذي كان يقف بالقرب مني، سمع السؤال فأراد أن ينقذني من حيرتي، فاقترب مني وقال لي بصوت منخفض وهو يبتسم:

- المفروض إن هو هيتسجن سنين كتير قوي ويخرج، هما بيصوروا مشهد السجن ومشهد الخروج ورا بعض.

فهمت أنني غفوت حوالي نصف ساعة حتى خضع الفنان للمسات الماكياج التي جعلته يكبر في السن كثيرًا ويصبح كما رأيته.

كانت فتاة الماكياج تضع اللمسات الأخيرة على لحية الفنان الذي كان مندمجًا في مناقشة فنية مع المخرج، وعندما شعرت أن المناقشة ستطول فضَّلت أن أجلس على الأرض حتى أكون مستعدًا تمامًا وقت التصوير.

ويبدو أن مساعد المخرج لم يجد ما يفعله في ذلك الوقت فنظر لي بغضب مصطنع وصاح بصوتٍ مرتفع:

- انت يا حيوان ياللي قاعد انت.. انت جاي تنام هنا ولا ايه؟!

نظرت له بغضب ودون أن أفكر أخذت بضع خطوات مقتربًا منه وأنا أسحب السيف:

- انت بتقول لمين يا روح أمك؟!

تراجع خطوات للخلف حتى التصق بالحائط، وتدخل مساعد حسن عبدالجواد وأمسكني:

- استنى بس هتعمل ايه؟!

- هشوف ابن الوسخة ده بيقول ايه.

فوجئت بالحارسين يمسكان بي محاولين تهدئتي، وتجمع آخرون كان آخرهم المخرج الذي صاح بغضب:

- ايه في ايه!! يلا كله يرجع مكانه.

عُدت إلى مكاني وأنا أكاد أشتعل غضبًا، وأشرت لمساعد المخرج بيدي إشارة توعُد، وبعد تصوير المشهد الذي كان الأخير في هذا اليوم، تلَفَّت حولي باحثًا عنه ولم أجده.

قُمـت بتغيـير ملابـسي وبحثـت عنـه بـلا جـدوى، وعندمـا علمـت مـن محمـد جمعـة أن هنـاك تصويـر في اليـوم التـالي بنفـس المـكان طلبـت منـه أن أكـون معـه حتـى ولـو بـدون أجـر، فوافـق عـلى الفـور.

الطبيعـي أن يخـاف الكومبـارس مـن مسـاعد المخـرج ولكننـي لم يكـن لـدي مـا أخـسره، فقـد قمـت بتصويـر مشـهدين في المسلسـل وأخـذت العشريـن جنيهًـا، وتناولـت وجبتـين باردتـين، فذهبـت إلى التصويـر في اليـوم التـالي وأنـا لا أفكـر إلا في الانتقـام مـن مسـاعد المخـرج الـذي هـرب مـن سـيفي المصنـوع مـن الألمونيـوم.

ذهبـت إلى التصويـر في اليـوم التـالي ودخلـت القلعـة وتوجهـت مبـاشرة إلى مـكان التصويـر، وسـألت عـن مسـاعد المخـرج فقـال لي أحدهـم إنـه في غرفـة الملابـس.

دخلـت الغرفـة واقتربـت منـه وعقـدت ذراعـي أمام صـدري ووقفـت بثبـات أسـدد نظـراتي الثاقبـة إليـه، وعندمـا التفـت للخلـف ورآني عـلى بعـد خطـوات قليلـة منـه نظـر لي نظـرة تسـاؤل قبـل أن يتعـرف عـليَّ ليبـدو القلـق عـلى وجهـه، فابتلـع ريقـه بصعوبـة وأشـار لي بيـده:

- تعالى تعالى اتفضل.

والتفت لفتاة الماكياج بارتباك وقال لها:

- الراجـل ده 100 – 100 اعمـلي لـه ماكيـاج الخـادم عـلى طـول وظبطيـه عشـان هيعمـل مشـهد متكلـم.

أن تعتـاد لفـترة طويلـة عـلى الأدوار الصامتـة ثـم تقـول كلمـة أو جملـة فهـو بالطبـع مـا يسـاوي الحصـول عـلى ترقيـة في وظيفـة حكوميـة والصعـود مـن الدرجـة الثامنـة إلى السـابعة، لـذا فبمجـرد أن

سـمعت مـا يقولـه شـعرت بسـعادة بالغـة وتناسـيت إهانتـه لي.

أسرع مساعد المخرج للخـروج مـن الغرفـة وتركنـي أرتـدي نفـس الملابـس التـي كان يرتديهـا عـادل، أمـس، وجـاء لي بعـد أقـل مـن نصف السـاعة وطلـب منـي أن أتبعـه لتصويـر مشـهد قلـت فيـه:

- «نعم يا سيدي»

ثـلاث كلـمات قلتهـا وأنـا أبـذل مجهـودًا شـاقًا لـكي أطـرد الابتسـامة مـن عـلى وجهـي، حيث كنـت أشـعر أن أبـواب النجومية قـد فُتحت لي.

انتهيـت مـن تصويـر المشـهد وجـاء لي مسـاعد المخـرج وشـكرني عـلى أدائي الـذي وصفـه بالهائـل، وأعطـاني ثلاثـين جنيهًـا مـن جيبـه الخـاص، وطلـب منـي تغيـير ملابـسي والانـصراف، فانصرفـت وأنـا أشـعر بالسـعادة.

تمت

جلالة الملك

«كافة الأمور تسير على خير ما يرام وفي أفضل حال»

هـذا مـا كان يحـاول محمـد محسـن، زميـلي في إحـدى كليـات القاع، أن يقنعنـي بـه. دائمًـا مـا كان يحـاول أن يطمئننـي، أو يطمـئن نفسـه مـن خـلالي،.. المذاكـرة تسـير بشـكلٍ جيـد، جميـع المـواد الدراسـية سـهلة، وجاهزيتـه للامتحـان غـير قابلـة للتشـكيك فيهـا بـأي شـكلٍ مـن الأشـكال، أمـا عـن العلاقـات النسـائية فهـي جيـدة جـدًا، بـل ممتـازة.

وإذا كانـت الامتحانـات لم تـأتِ بعـد ليكشـف لي محمـد محسـن عـن قدراتـه الدراسـية «الهائلـة»، فـإن العلاقـات النسـائية ليسـت بحاجـة لانتظـار وقـت محـدد لإثبـات مـدى نجاحهـا، فـكان يحـرص (محسـن) _مـن وقـتٍ لآخـر_ عـلى تأكيـد نجـاح علاقاتـه النسـائية.. فيطلـب منـي أن نذهـب عنـد أحـد «المدرجـات» في جامعتنـا الفسـيحة لــ «مقابلـة» فتـاةٍ مـا.. ونذهـب.. وننتظـر.. وتخـرج الفتـاة مـن المحـاضرة، ويُسـلم عليهـا، دون مصافحـة بالأيـدي، ويتبـادلا بعـض الكلـمات الروتينيـة القليلـة و. . . لاشيء!.. تذهـب الفتـاة إلى وجهتهـا دون أن تلتفـت وراءهـا التفاتـةً واحـدةً، ويقـف محمـد محسـن فخـورًا بنفسـه أمامـي، وأمـام نفسـه، بـل وأمـام العـالم أجمـع، وكيـف لا يفخـر بنفسـه وقـد أثبـت لي ولنفسـه _بالدليـل القاطـع_ أنـه «فلانتينـو» الجامعـة؟! لقـد قابـل الفتـاة بالفعـل وسَـلَّم عليهـا وتحدثـا لمـدةٍ لا تقـل عـن دقيقتـين كاملتـين، يـا لـه مـن شـيطانٍ ماكـر!

- ازيِك.

- ازيك يا محسن.

- عاملة ايه؟

- الحمد لله، وانت عامل ايه؟

- تمام.

- عاوز حاجة؟

- لأ شكرًا.

- أوك، باي.

- باي.

وإن اختلفت الفتيات، فالحوار واحد لا يتغير، نفس الحوار يتكرر كل مرة بين «الفلانتينو» والفتاة، وأنا أقف أتابع في صمت، وبمجرد أن تنصرف الفتاة كسابقتها، أضرب أخماسًا في أسداسٍ بيني وبين نفسي وأنا أبحث عما يسميه محمد محسن «علاقة» وعن سر سعادته بانتظاره لفتاة نحو النصف ساعة حتى تنتهي من محاضرتها ويسلم عليها وترحل!

لم يكن محمد محسن _القصير القامة بشكلٍ ملحوظ_ يعاني في حياته أية معاناة، وحتى عندما قال لي يومًا إنه كان يتمنى أن يكون طويلًا مثلي، قالها وهو ويبتسم.. الأمنية ليست عزيزة على قلبه إذن. ونفس الشيء بالنسبةِ للنقود، يشتري سيجارتين أمريكيتين «فرط»، من ماركة «مارلبورو»، بخمسين قرشًا للواحدة، وهو في قمة الفخر والسعادة، ويقنعني أنه لا يريد شراء علبة «من بابها» لأنه يحافظ على صحته، كما أقنعني من قبل أنه لا يحتاج أن يأخذ مصروفًا كبيرًا من والده لأنه لا ينقصه شيء، وهو أيضًا لا يحتاج إلى شراء ملابس جديدة فقد كان يأخذ جولة في أحد

فـروع «كونكريـت» منـذ أشـهر قليلـة.. ولكنـه لم يشـتري أي قطعـة مـن المحـل!

مـرت أيامنـا الجامعيـة عـلى نفـسِ المنـوال، أعـاني أنـا مـن البـؤس والفقـر والحرمـان، ومحمـد محسـن ملـكًا متوجًـا لا ينقصـه شـيئًا سـوى «تلميـع» تاجـه الملـكي الأنيـق. وحتـى عندمـا داهمتنـا الامتحانـات وانتابنـي قلـق شـديد، فإنـه _القلـق_ لم يجـرؤ عـلى الاقـتراب مـن جلالـة الملـك.

كنـت دائمًـا أخـرج مـن لجنـة الامتحـان بوجـهٍ عابـس، عـلى عكـس محمـد محسـن الـذي كان يخـرج مبتسـمًا سـعيدًا بمـا أنجـزه.

ومثلـما داهمتنـا الامتحانـات بشـكلٍ اعتبرنـاه مفاجـئ، داهمتنـا نتيجتهـا بنفـسِ الشـكل لتعلـن عـن تحقيـق جلالـة الملـك محمـد محسـن انتصـارًا عظيـمًا في مـادة اللغـة الانجليزيـة بحصولـه عـلى تقديـر جيـد مـع رسـوبه في باقـي المـواد. في حـين نجحـت أنـا بتقديـر لا بـأس بـه وأكملـت طريقـي في الكليـة البائسـة بمفـردي بعدمـا تـم فصـل محمـد محسـن لتجـاوزه عـدد مـرات الرسـوب المحـددة، ولينتقل إلى كليـة أخـرى في جامعـة أخـرى وتصبـح علاقتنـا شـبه منقطعـة.

مـرت فـترة ليسـت قصـيرة بعـد أن أنهينـا دراسـتنا الجامعيـة، ولم أكـن أعلـم شـيئًا عـما حققـه محمـد محسـن في حياتـه، إلا إننـي كنـت أتذكـر رقـم هاتفـه، ولسـببٍ غـير مفهـوم اتصلـت بـه، وتذكـرني بسـهولة بمجـرد أن سـمع صـوتي، وهـو مـا شـجعني عـلى أن أطلـب لقـاءه، وهـو مـا رفضـه بـدوره.

- ليه؟ تعالى ننزل نتقابل في أي حتة.

- ما ينفعش والله، أبويا وأمي مش بيسيبوني أخرج.

- ليه يعني؟

- أصلي حاولت أنتحر من شهر ولحقوني في آخر لحظة.

تمت

سلامة بخير

«الاسم صحفي والفعل قواد»..

احتل محمد سلامة مكانة متميزة في الموقع الإخباري الذي أعمل به محررًا بقسم «التوك شو»، بسبب قربه من رئيس التحرير الجديد الذي جاء مع حاشيته ليدير الموقع الذي يمتلكه رجل أعمال شهير أراد أن يحقق مزيدًا من الانتشار والنجاح للموقع الذي كان يُدر عليه ملايين الجنيهات شهريًا.

لم يلفت «سلامة» انتباهي بسبب الطريقة المتعالية التي يتعامل بها مع معظم الموظفين القدامى في الموقع، فقد تفهمنا - نحن القدامى - هذه الطريقة من حاشية رئيس التحرير الذين جاءوا معه فيما يشبه الاحتلال، وكان واضحًا للجميع أنهم يسعون لـ «تطفيشنا» من المكان الذي كنا نعتبره بيتنا الثاني حتى وإن كنا نحصل منه على مرتباتٍ ضئيلة.

لَفَتَ «سلامة» انتباهي عندما وجدت أن الموظفين الأقدم مني في الموقع يعرفونه كما يعرفهم جيدًا، فقد كان يقف مع بعضهم أمام باب الشركة -التي كانت تحتل طابقين بعمارة شاهقة في حيٍ راقٍ- وهو يدخن السجائر ويمزح معهم.

أثار هذا الأمر فضولي وعندما استفسرت من أحد زملائي عنه، قال لي إن سلامة كان يعمل معهم في الموقع بقسم الاقتصاد، وقدم استقالته قبل انضمامي إليهم بأكثر من عام والتحق بالعمل في جريدة ورقية يديرها الإعلامي المشهور الذي أُعجب بسلامة لإجادته فنون تقديم فروض الطاعة والولاء، واعتبره من رجاله المقربين، وأوكل إليه مهمة التفاوض مع الصحفيات اللاتي يسعى

لضمهـن لزمـرة حريمـه مـن صحفيـات حجـرات النـوم.

ذَكَرَّتنـي حكايـة سـلامة بالحكايـة التـي شـاهدتها أكـثر مـن مـرة في أفـلامٍ عربيـة أُنتجـت خـلال فـترتي السـبعينيات والثمانينيـات عـن «عبيـط القريـة» الـذي طـرده أهلهـا منهـا بجلبابـه الممـزق عندمـا أمسـكوه وهـو يتلصـص عـلى النسـاء، فأوسـعوه ضربًـا وأجـبروه عـلى سـف الـتراب قبـل أن يخـرج مـن القريـة ذليـلًا منكسـرًا، ليعـود إليهـم بعـد عـدة سـنوات وهـو يرتـدي ملابـس غـير متناسـقة باهظـة الثمـن ويرافـق «سـعادة البيـه» الـذي جـاء ليحتـل القريـة تحـت مسـمى «الاسـتثمار والتطويـر».

لم يكـن سـلامة يمـارس عمـلًا حقيقيًـا متعلقًـا بنشـاط الموقـع، فهـو فقـط يتـودد لحمـدي عبـد الجـواد، رئيـس التحريـر، ويعـبر عـن إعجابـه الشـديد بــ «عبقريتـه» وقراراتـه الحمقـاء، وينقـل لـه أخبـار العاملـين بالموقـع كعصفـورة مخلصـة لراعيهـا، بالإضافـة إلى عملـه الأهـم كقـواد يتفـاوض مـع أي صحفيـة تثـير إعجـاب رئيـس التحريـر الـذي لم يكـن يشـبع مـن المغامـرات الجنسـية التـي كانـت تشـعره بوسـامته وجاذبيتـه ورجولتـه، وهـو أبعـد مـا يكـون عـن هـذه الصفـات.

شـاهدت سـلامة أكـثر مـن مـرة وهـو يقـف مـع بعـض الصحفيـات الجميـلات عـلى سـلالم العـمارة التـي تقـع بهـا الشركـة، وهـو مـا أثـار فضـولي ودهشـتي، حتـى فهمـت فيـما بعـد أنـه يتفـاوض معهـن ويطلـب منهـن تقديـم تنـازلات لرئيـس التحريـر مقابـل الحصـول عـلى مميـزاتٍ كثـيرة أهمهـا -بالطبـع- زيـادة الراتـب.

كان سـلامة قـد اكتسـب خـبرة لا بـأس بهـا في اصطيـاد صحفيـات

حجـرات النـوم، فـكان يهتـم كثـيرًا بمراقبـة صحفيـات قسـم الفـن، والمطلقـات مـن الأقسـام الأخـرى، وعندمـا يسـتقر عـلى الفريسـة يبـدأ في تقديـم اسـتعراض رخيـص أمامهـا ليُعَرِفهـا بأهميتـه في الموقـع.

يبــدأ اســتعراض ســلامة الرخيــص بالتحــدث بصــوتٍ مرتفــع في صالـة التحريـر، مـع الـزج باسـم رئيـس التحريـر في كلامـه لـكي تعـرف الصحفيـة المسـتهدفة أنـه عـلى صلـة وثيقـة بـه وهـو الإعلامي المشـهور الـذي قـد يمتلـك أحـد مفاتيـح بوابـة المجـد والشـهرة والـثراء المـادي، ثـم تـأتي الخطـوة الثانيـة فيفتعـل سـلامة مشـكلة مـع أحـد الصحفيـين القدامـى في الموقـع ويُنَـكِل بـه بدعـم مـن سـيده ليـضرب عصفوريـن بحجـر، يُثْبِـت قوتـه أمـام الصحفيـة، ويأخـذ خطـوة في «تطفيـش» صحفـي مـن القدامـى.

ويبــدو أن ســلامة قــد اســتقر مؤخــرًا عــلى «ميرنــا» التــي كانــت اختيـارًا مثاليًـا لـه، فهـي مطلقـة وتعمـل بقسـم الفـن وترتـدي ملابـس مثـيرة تـبرز مفاتنهـا.. فليبـدأ معهـا إذن..

وكـما وجـد سـلامة أن ميرنـا فريسـة مثاليـة، وجـدني جـسرًا مناسـبًا مـن السـهل العبـور فوقـه لأخـذ خطـوة تجاههـا، فقـد فوجئـت بـه في أحـد الأيـام ينـدفـع نحـوي وهـو يرسـم عـلى وجهـه المسـتطيل ملامـح حـادة ويقـول وهـو ينظـر لي:

- مين اللي شغال توك شو هنا؟!

التفَّت له بهدوء وقُلت:

- أيوه يا باشا أؤمر.

اقـترب منـي أكـثر و أزاح يـدي مـن عـلى فـأرة الكمبيوتـر الموضـوع أمامـي وفتـح الموقـع عـلى خـبر مـن أخبـاري وقـال لي بغضـب مفتعـل:

- انت اللي عامل الخبر ده؟

كنـت قـد قـررت في وقـتٍ سـابق أن أتجنـب الاحتـكاك بـأي صحفي مـن حاشـية رئيـس التحريـر الجديـد، فكتمـت غيظـي مـن طريقتـه المسـتفزة وقلـت لـه:

- أيوه، ماله؟

- هو ايه اللي ماله؟ انت شغال هنا من امتى؟

كان يتحـدث إليَّ ونظـره متجهًـا إلى ميرنـا التـي كانـت تجلـس عـلى مقربـة منـي تتابـع الاسـتعراض.

فكـرت قليـلًا ووجـدت أننـي لـو رددت عليـه بالطريقـة المناسـبة لطريقتـه فسـيزداد الموقـف تعقيـدًا ولـن أجـد مفـرًا مـن المواجهـة التـي كنـت قـد قـررت تجنبهـا، فعُـدْت بالكـرسي إلى الخلـف ليصطـدم بـه، وقلـت لـه وأنـا انهـض مـن مـكاني:

- معلش هدخل الحمام.

ودون أن أنتظـر رده، توجهـت لأحمـد مجـدي، أحـد مديـري التحريـر ورئيـس «الشـيفت» المسـائي، وعندمـا اقتربـت منـه طرقـت بإصبعـي عـلى مكتبـه وقلـت:

- يا مجدي.

التفت لي، فقلت له بصوتٍ منخفض:

- هو سلامة ماله؟

- عمل ايه؟

- جـاي يتنطـط كـده وبيكلمنـي عـلى خـبر، بـس بيتكلـم بطريقـة مـش حلـوة.

نظـر أحمـد مجـدي تجـاه محمـد سـلامة وقـد أدرك مـا يحـدث، فالتفـت لي وقـال:

- طب روح انت اشرب سيجارة بره وأنا هشوف.

توجهـت إلى بـاب الشركـة عـلى الفـور، وفي طريقـي أشرت لمحمـد عاطـف، المحـرر بقسـم التكنولوجيـا، أن يتبعنـي لتدخـين السـجائر، فنهـض وهـو يأخـذ علبـة سـجائره المسـتوردة مـن أمامـه.

كان أحمـد مجـدي يعـرف سـلامة جيـدًا ويتعامـل معـه كصحفـي قديـم بقسـم الاقتصـاد في الموقـع، وليـس كصحفـي مقـرب مـن رئيـس التحريـر الجديـد. ولم يكـن قـادرًا عـلى تغيـير تلـك الطريقـة التـي كان يشـعر سـلامة نفسـه بأنهـا الطريقـة الصحيحـة التـي تضعـه في حجمـه الطبيعـي. فـ «عبيـط القريـة» مهـما ارتـدى مـن ملابـس أنيقـة، تظـل آثـار جلبابـه القـذر الممـزق عـلى جسـده تطـارده، ويظـل في صراع ومحـاولات مضنيـة للتخلـص منهـا، ولكنـه يفشـل دائمًـا وأبـدًا.

اتجـه مجـدي إلى حيـث يقـف سـلامة ينظـر لميرنـا ويحـاول تجـاذب أطـراف الحديـث معهـا:

- في ايه يا سلامة؟

التفت محمد سلامة لمجدي وقال له بارتباك:

- أؤمر يا كبير.

- ماله الخبر بتاع التوك شو؟

ارتبـك سـلامة أكـثر وأخـذ يتلفـت حولـه باحثًـا عنـي فـأدرك أننـي «سـلمته» لمجـدي، ونظـر لميرنـا وهـو يشـعر بالخـوف مـن أن تهتـز صورتـه أمامهـا، ثـم قـال لأحمـد مجـدي بنظـراتٍ زائغـة:

- بقول لك ايه.. تعالى نطلع نشرب سيجارة بره.

نظر له مجدي ببرود:

- روح انت وابعت لي محمد حسين ع البوفيه.. وأنا هجيلك.

ابتلـع سـلامة ريقـه بصعوبـة واندفـع لبـاب الشركـة، وعندمـا خـرج مـن البـاب كان وجهـه مكفهـرًا، ونظـر لي وقـال وهـو يكتـم غيظـه:

- كلم أحمد مجدي عايزك في البوفيه.

أطفـأت السـيجارة وذهبـت إلى البوفيـه فوجـدت مجـدي يُعـد لنفسـه كوبًـا مـن الشـاي، وعندمـا رآني بجانبـه قـال لي بهـدوء:

- سـيبك منـه أنـا هظبُطه دلوقـت، ولو كلمك تـاني إدي له على قفاه.

نظرت له نظرات حائرة فاستطرد بعد ثوانٍ من التفكير:

- ولا أقول لك... لو كلمك تعالى قول لي على طول.

- ماشي.

عُـدت إلى مكتبـي ومارسـت عمـلي وأنـا أحـاول تجاهـل مـا حـدث للتخلـص مـن الضيـق والقلـق، ولم أسـأل «مجـدي» عـما فعلـه مـع

سـلامة حتـى بعـد أن طاردتنـي نظراتـه المتوعـدة في الأيـام التاليـة.

كان سـلامة يمـر بجانبـي ويتعمـد التحـدث مـع أي شـخص يجلـس أو يقـف عـلى مقربـة مني، ويـردد اسـم رئيـس التحريـر وسـط كلامـه وهـو يختلـس نظـرات لي، ولم أجـد مـا أفعلـه أمـام نظراتـه المسـتفزة سـوى النظـر إليـه بلامبـالاة قبـل توجيـه نظـراتي إلى شاشـة الحاسـوب أمامـي والانغـماس في العمـل، أو الخـروج مـن بـاب الشركـة وتدخـين السـجائر مـع محمـد عاطـف الـذي كان يتحـدث عـن محمـد سـلامة بسـخرية ويصفـه بــ «العيـل العبيـط التافـه».

- سلامة ده عبيط أصلًا، ده أنا بديله على قفاه.

- يا عم ده من رجالة الزفت حمدي رئيس التحرير.

- هو وحمدي يا عم.. هيعمل لنا ايه حمدي يعني؟!

قلت بسخرية:

- ولا أي حاجة.. هيرفدني بس.

ضحك وقال لي:

- يا عم يعني بتقبض الدولارات؟! ده كلهم 3 ألاف ملطوش.

أطفـأت سـيجارتي في المنفضـة الموضوعـة بجانـب المصعـد وقلـت لـه وأنـا أدخـل مـن بـاب الشركـة:

- انت بتقول كده عشان مش متجوز ولا عندك عيال.

مـرت بضعـة أيـام عـلى نفـس المنـوال، أحـاول الانغـماس في العمـل

بقـدر الإمـكان وتجاهـل حاشـية رئيـس التحريـر، بمـا فيهـم محمـد سـلامة الـذي كانـت نظراتـه تسـتفزني، خصوصًـا عندمـا أضبـط نفـسي متلبسًـا ومشـاعر الخـوف تحـاصرني وأنـا أحـاول التكهـن بمـا قـد يفعلـه وهـو قـواد رئيـس التحريـر والمسـئول عـن متعتـه الجنسـية.

أصبحـت أشـعر بالقلـق الشـديد وتزايـدت الضغـوط عـليَّ، وبعـد أن كنـت أدخـن نحـو ثـلاث أو أربـع سـجائر في اليـوم، تضاعـف الرقـم ووصـل في بعـض الأيـام إلى عـشر سـجائر مـن أنـواعٍ مختلفـة وخصوصًـا بعـد أن تـم نقل قسـم «التوك شـو» إلى مكتـب منفصل كنا نسـتطيع أن ندخـن فيـه بعيـدًا عـن الأعـين ودون الحاجـة إلى الخـروج أمـام الشركـة.

زادت الضغـوط عـليَّ بسـبب سـلامة وغيره مـن أفراد الحاشـية، وجاء تأخـر الراتـب الضئيـل ليكمـل عـليَّ، فلا أجـد نقودًا لأشـتري بها سـجائر.

جـاءت السـاعة الحاديـة عـشرة مسـاءً في ذلـك اليـوم وكنـت أشـعر بالضيـق الشـديد ولم يكـن معـي سـجائر، فخرجـت أمـام بـاب الشركـة، وفي طريقـي مـررت بسـلامة الـذي كان نائمًـا عـلى أريكـة مقابلـة لمكتب موظـف الاسـتقبال.

طلبـت سـيجارة مـن عـادل، مديـر القسـم، الـذي كان يقـف مـع صديقـه محمـود، وأشـعلتها وأخـذت أنفـث دخانهـا بضيـق والأفـكار المختلطـة تعصـف بـرأسي، وخـرج علينـا سـلامة يتثـاءب وعلامـات النعـاس عـلى وجهـه، فقـال لـه محمـود:

- ما تكمل نوم يا أخويا.

تثاءب سلامة مرة أخرى وقال وهو يضحك:

- لأ ده كده تمام قوي، هات سيجارة عشان أفوق.

مد عادل يده بسيجارة لسلامة وهو يقول له:

- انت محتاج قلمين عشان يفوقوك.

وجدت نفسي أتدخل في الحوار دون تفكير، فقلت بسخرية:

- قلمين وشلوت مخبرين.

كنت أتوقع أن يثير تعليقي موجة من الضحك لدى عادل ومحمود، إلا أن سلامة قطع الطريق على أي رد فعل منهما وباغتني بالهجوم بلهجة حادة:

- انت هتهزر معايا ولا ايه؟!

نظرت إلى عادل ومحمود وكأنني أستنجد بهما لكي يضحكا فلا يجد سلامة مفرًا من اعتبار الموقف كوميدي ويستسلم له ويتقبل تعليقي، إلا إنهما نظرا لي نظرات هي مزيج من الدهشة والاستنكار والترقب، فالتزمت الصمت وأخذت أفكر فيما قلته وما يجب علي أن أفعله حتى أخرج من الموقف السخيف.

ويبدو أن سلامة كان ينتظر ما فعلته واعتبرها فرصة ذهبية لكي ينتقم مني، فقال لي بغضبٍ مصطنع:

- انت مين عشان تقول لي كده؟ انت مش صاحبي على فكرة.

لم أجد مفرًا من المواجهة فقلت له بصوت متردد:

- وانت مين أصلًا؟!

- انت اللي مين؟ شغال ايه هنا؟ صِفتك ايه في المكان؟ انت بتقعد فين؟

أراد محمد سلامة بأسئلته، التي يعرف إجاباتها جميعًا، أن يقول لي ولهما إنني معدوم القيمة وليس لي أية أهمية في المكان، وهو ما اعتبرته إهانة بالغة لا يمكن السكوت عنها، فأخذت خطوتين تجاهه وأمسكته من يده بقوة وجذبته في اتجاه باب الشركة وأنا أقول بلهجة متحدية:

- تعالى وأنا أوريك بقعد فين.

فوجئ سلامة بما أفعله وحاول أن يخلص يده من يدي وهو يقول بقلق واستنكار:

- انت مجنون يا عم انت؟! انت بتمسكني أنا كده؟!

تشبثت بيده أكثر وحاولت جذبه من جديد في اتجاه الباب وأنا أرد بصوت مرتفع:

- تعالى أنا هاخدك جوه أوريك أنا مين وبقعد فين، أنا بقعد في الأوضة اللي في الوش دي، تعالى معايا وأنا هوريك، انت خايف من ايه؟ مش هعمل لك حاجة.

فوجئت بعادل ومحمود يضحكان ويقتربان مني ويحاولان إبعادي عنه، فلم أجد بدًا من الانصياع لرغبتهما، فتركت يده وأنا أقول بنفس اللهجة:

- انت خايف تدخل معايا الأوضة ليه؟! مش هعمل لك حاجة جوه أنا، تعالى وأنا أوريك.

كل مـا كان يـدور في رأسي أن أصطحـب سـلامة لمكتبـي وأشـير لـه بـأن هـذا هـو مـكان جلـوسي وأننـي أعمل محـررًا بقسـم «التوك شـو»، إلا إن عـادل ومحمـود فهـما كلـماتي بشـكلٍ شـاذ، وهـو مـا جعلهـما يضحـكان وهـما يحـاولان تهدئـة الموقـف حتـى أقنعـاني بالدخـول وممارسـة عمـلي.

جلسـت أمـام مكتبـي وأنـا أستشـيط غضبًـا ولا أسـتطيع التركيـز في العمـل، وبعـد نحـو عـشر دقائـق وجـدت عـادل ومحمـود يقفـان أمامـي ويحـاولان إقناعـي بالاعتـذار لسـلامة كي لا يتصاعـد الأمـر ويصل لرئيـس التحريـر الـذي لـن يقبـل إهانـة ذراعـه الأيـسر محمـد سـلامة.

قلت لهما بهدوء:

- أنا ما عملتلوش حاجة عشان أعتذر.

ضحك محمود وقال:

- يـا عـم انـت بتقـول لـه تعـالى الأوضـة هوريـك ومـش هعمـل لـك حاجـة!! هتـوري لـه ايـه وحاجـة ايـه الـلي مـش هتعملهـا لـه؟! الـكلام ده لـو وصـل لحمـدي عبدالجـواد مـش هيسـكت.

مـرت نحـو خمـس دقائـق وهـما يحـاولان التلميـح للمعنـى الـذي سيُفهم مـن كلامـي، وإقناعـي بالاعتـذار. وفي النهايـة تذكـرت مـا قلتـه لمحمـد عاطـف: «انـت بتقـول كـده عشـان مـش متجـوز ولا عنـدك عيـال». فوجـدت أنـه لا مفـر مـن الاعتـذار لمحمـد سـلامة، حتـى وإن لم أكـن أقصـد مـا فهمـه عـادل ومحمـود... واعتـذرت.

تمت

النافذة

كنت أشعر أنه ينظر لي دونًا عن باقي الأطفال، رغم أنه لا يعرفني ولا أعرفه، ذلك العجوز الذي يطل علينا من نافذة الطابق الأرضي لمبنى تحت الإنشاء ونحن في طريقنا إلى ـومن ـ المدرسة.

لم يكن يفارق النافذة، وكأنها قطعة منه أو هو قطعة منها! رجل عجوز تجاوز الستين عامًا، يرتدي جلبابًا رماديًا مهترئًا وكوفية بنية اللون، وتخفي التجاعيد ملامح وجهه، لم أر له ملامح، فقط تجاعيد خشنة، ولحية كثة غير مهذبة كانت كافية لإثارة الخوف في نفس طفل في الصف الثالث الابتدائي مثلي.

كان هناك أكثر من طريق يصل البيت بالمدرسة، ولكن الطريق الذي يوجد به مبنى الرجل العجوز كان أقصرها، فاضطررت في معظم الأحيان أن أسلكه محتميًا بزملائي الذين خجلت من الإفصاح لهم عن مشاعر الخوف التي تنتابني كلما رأيت الرجل، ربما لكي لا أُظهر ضعفي أمامهم وأتعرض للسخرية، وربما لأنني لم أجد سببًا واحدًا لخوفي أقوله لهم، فالتزمت الصمت.

قررت في أحد أيام نهاية الأسبوع، ونحن في طريقنا إلى المنزل، أن أتحاشي النظر إلى المبنى بقدر الإمكان والإسراع في خطواتي وحث زملائي على الإسراع.

- يلا عشان ما نتأخرش.

هذا ما قلته لهم قبل خطوات من المبنى الذي يطل على ساحة فسيحة، فصاح زميلي أمجد علام باستنكار:

- نتأخر ايه؟! النهارده الخميس.

كانت إجازتنا الأسبوعية تبدأ فعليًا بعد انتهاء اليوم الدراسي يوم الخميس وتستمر حتى منتصف يوم الجمعة وربما حتى مسائه.

قلت له بتوتر:

- ما أنا أمي قالت لي ما تتأخرش وبتزعق لي.

كانت حجتي واهية ولم تقنعهم، وقبل أن أفكر في حجة جديدة أكثر إقناعًا وجدت محمد عبدالحليم، المعروف بيننا بحبه لكرة القدم، يندفع في نفس اتجاه سيرنا بعد أن لمح بعض زملائنا في المدرسة يستعدون للعب مباراة كرة في الساحة.

صاح محمد عبدالحليم وهو يركض بحماس:

- أنا هلعب هجووووم.

اندفع خلفه أمجد علام، وحسام عبداللطيف، وأحمد عزت، ووجدت نفسي أقف وحيدًا مشدوهًا أنظر إليهم وقد أفسدوا ما كنت أخطط له، من أجل مباراة بدأت أمام منزل الرجل العجوز على الفور وكأنها كانت تنتظرهم.

وقفت للحظات أفكر فيما يجب عليَّ فعله في هذا الموقف العصيب، وكدت أعود من الطريق لأسلك طريقًا آخر بعيدًا عن منزل العجوز، إلا إن أمجد علام صاح بي بصوت مرتفع:

- واقف عندك بتعمل ايه؟ يلا هنبدأ.

وجدت نفسي دون تفكير أستسلم لرغبة أمجد الذي قرر، دون

أن يأخـذ رأيـي، أن أكـون ضمـن الفريـق في مبـاراة كـرة قـدم يطـل عليهـا رجـل عجـوز كنـت أحمـل هـم مـروري مـن أمامـه كل يـوم.

جرجـرت قدمـاي حتـى وصلـت إليهـم وأنـا أتجنـب النظـر في اتجـاه النافـذة، ووضعـت حقيبتي المدرسـية خلف مرمى فريقنـا في أبعد نقطة ممكنـة عـن الرجـل الذي كنـت متأكدًا أنـه يقف في النافـذة ويحدق بي.

وعـلى غـير عـادتي في المباريـات اخـترت أن ألعـب في مركـز حـارس المرمـى حتـى أبقـى بعيـدًا متحفـزًا لأي مفاجـأة قـد تصـدر عـن الرجـل العجـوز الـذي خُيـل إليَّ في هـذه اللحظـات أنـه يخفـي سـكينًا حـادًا في ملابسـه ويتحـين الفرصـة حتـى ينقـض عـليَّ بهـا.

بـدأت المبـاراة وأنـا أتجنـب النظـر في اتجاه النافـذة، وأحـاول التركيز عـلى الكُـرة، لا أنظـر إلى النافـذة ولا لأي لاعـب سـواء مـن فريقـي أو مـن الفريـق المنافـس.. فقـط الكـرة. ويبـدو أن تلـك الطريقـة هـي مـا كانـت تصنـع حـارس المرمـى الجيـد، فقـد أبليـت بـلاًء حسـنًا جعـل زمـلائي يشـيدون بي.

وعـلى الرغـم مـن انهـماكي في المبـاراة إلا إننـي لم أسـتطع أن أبعـد صـورة الرجـل حامـل السـكين مـن تفكـيري، وفي إحـدى اللحظـات التـي كان يتعـرض فيهـا فريقنـا لهجـوم مـن الفريـق المنافـس، أفلتـت منـي نظـرة في اتجـاه النافـذة فوقعـت عـلى العجـوز الـذي رأيتـه، أو ربمـا خُيـل إليَّ، أنـه يتحـرك حركـة ترجمتهـا عـلى الفـور إلى اسـتعداده لـترك النافـذة والخـروج للشـارع.

شـعرت بالدنيـا تدور من حـولي، وكان من الطبيعـي أن تمر الكرة من جانبـي بعـد أن سـددها أحـد لاعبـي الفريـق المنافـس لتخـترق مرمـاي.

أفقـت عـلى إحسـاسي بالفشـل، والـذي فاقـه إحسـاسي بالخـوف الـذي حركنـي عـلى الفـور، فاسـتدرت للخلـف دون وعـي وركضـت في اتجـاه الكـرة خلـف المرمـى وأمسـكت بهـا وعُـدت بهـا خطـوات متأنيـة في اتجـاه الملعـب، وعندمـا وجـدت نفـسي بجانـب حقيبتـي ألقيـت بالكـرة والتقطـت الحقيبـة مـن الأرض واسـتدرت للخلـف وأطلقـت سـاقي للريـح حتـى وصلـت إلى المنـزل وأنـا لا أصـدق أننـي نجـوت مـن سـكين الرجـل العجـوز.

وصلـت إلى المنـزل وأنـا ألهـث ولا أفكـر في زمـلائي الذيـن تركتهـم بشـكل مفاجـئ، ولم أسـتطع المذاكـرة أو النـوم في هـذا اليـوم وأنـا أفكـر فيـما سـيحدث غـدًا.

ذهبـت إلى المدرسـة في اليـوم التـالي متأخـرًا عـن موعـد طابـور الصبـاح بعدمـا سـلكت طريقًـا آخـر بمفـردي بعيـدًا عـن الرجـل العجـوز، وبمجـرد أن دخلـت الفصـل أخـذت جولـة بنظـري باحثًـا عـن زمـلائي الذيـن تركتهـم بالأمـس، فوجدتهـم جالسـين في أماكنهـم ينظـرون إليَّ نظـرات تسـاؤل حاولـت تجنبهـا، وتهربـت من اسـتجوابهم بـين الحصـص حتـى جـاءت الفُسـحة بعـد الحصـة الثالثـة فحـاصروني بأسـئلتهم، فقلـت لهـم:

- مـا أنـا قلـت لكـوا أمـي قالـت لي مـا تتأخـرش، وبعديـن احنـا ماكنـاش متفقـين اننـا هنلعـب الماتـش ده.

رد عليَّ أمجد باستنكار:

- واحنا من امتى بنتفق؟!

قلت له بارتباك:

- الحتـة الـلي لعبنـا فيهـا دي أصـلا وحشـة، وأنـا ماكنتـش مسـتريح وأنـا بلعـب.

لم يقتنعـوا بكلامـي ولم يكـن أمامهـم مـا يفعلـوه بعدمـا أكـدت لهـم أننـي لـن ألعـب في هـذا المـكان مـرة أخـرى ولـن أسـلك هـذا الطريـق أصـلًا حتـى لـو أصروا جميعًـا عليـه.

مـرت الأيـام التاليـة ثقيلـة عـليَّ وأنـا أسـلك طريقًـا آخـر وحيـدًا في الذهـاب والعـودة مـن المدرسـة بعدمـا تجاهلنـي زمـلائي وأصروا عـلى طريـق الرجـل العجـوز.

وبعـد مـرور بضعـة أيـام اعتـدت عـلى الطريـق الجديـد، وأصبحـت علاقتـي بزمـلائي مقتـصرة عـلى المدرسـة فقـط، أقابلهـم عندمـا نذهـب إلى المدرسـة وبمجـرد خروجنـا نفـترق، هُـم إلى طريقهـم المعتـاد وأنـا إلى طريقـي الجديـد، حتـى انتهـى العـام الـدراسي وفاجـأني أبي بالانتقـال إلى حـيٍ آخـر بعيـد، وبالتـالي تحويـل أوراقـي إلى مدرسـة أخـرى.

اسـتقبلت الخـبر بسـعادةٍ بالغـة، ليـس فقـط بسـبب أن الحـي الجديـد أفضـل، ولكـن لأننـي وجـدت انتقالنـا إليـه وتغيـير المدرسـة هـو أفضـل حـل لمشـكلة الرجـل العجـوز.

ومـرت عـليَّ السـنوات بنجاحاتهـا وإخفاقاتهـا ونسـيت قصـة الرجـل العجـوز.. أو هكـذا اعتقـدت.

كان مـن الصعـب عـليَّ بعـد تخرجـي مـن الجامعـة أن أشـتري شـقة في نفـس الحـي الجديـد لـكي أتـزوج بهـا، ولم أجـد أمامـي سـوى العـودة للحـي القديـم الـذي كانـت علاقتـي بـه انقطعـت تمامًا.

اشـتريت شـقة صغـيرة مساعدة والـدي وتزوجـت بعـد تخرجـي في الجامعـة ببضـع سـنوات، ومـا هـو إلا عـام واحـد حتـى أصبحـت أبـًا.

مـرت أربـع سـنوات سريعـة حتـى أصبحـت قـادرًا عـلى اصطحـاب ابنـي إلى الخـارج مفردنـا وبعـد أن توقـف عـن مطالبتـه لي بحملـه كلـما خرجنـا مـن المنـزل.

قـررت في أحـد الأيـام أن أصطحـب ابنـي إلى أحـد محـلات الملابـس المعروفـة، والـذي كان يقـع بالقـرب مـن مدرسـتي الابتدائيـة القديمـة، ودون أن أشـعر سـلكت معـه نفـس الطريـق القديـم الـذي كنـت أخـاف مـن المـرور بـه، وعندمـا اقتربـت مـن السـاحة التـي لعبنـا بهـا مبـاراة كـرة القـدم الأخـيرة لي مـع أصدقـائي، نظـرت إلى المنـزل الـذي كان تحـت الإنشـاء وقـد تحـول إلى عـمارة شـاهقة معالمهـا مختلفـة تمامًـا عـما كنـت أراه في المـاضي.

توقفـت أمـام العـمارة وأنـا أنظـر إلى الـدور الأرضي مشـدوهًا، فسـألني ابنـي:

- مالك يا بابا؟

حملته وربَّت على صدره واحتضنته وقلت له:

- ما تخافش.. أوعى تخاف.

تمت

الباشكاتب

اعتـاد عـلي السـباعي -الموظـف بقـصر الثقافـة، والسيناريسـت غـير المعـروف- أن يجلـس أمـام مكتـب متواضـع في مدخـل القـصر وكأنـه تمثال لا يتزحـزح مـن مكانـه، فبمجـرد أن ندخـل مـن البوابـة الحديديـة لقـصر الثقافـة وننحـرف لليسـار ونصعـد درجـات السـلم القليلـة لندخـل مبنـى القـصر مـن البـاب الخشـبي، نـرى الأسـتاذ عـلي يجلـس مرتديًـا ملابـس متواضعـة غـير مهندمـة كعادتـه؛ ليذكرنـا بوظيفـة «الباشـكاتب» كـما قدمتهـا أفـلام السـينما الكلاسـيكية.

تَخَـرَّج عـلي السـباعي قبـل نحـو ثلاثـين عامًـا مـن معهـد السـينما، قسـم السـيناريو، إلا أن رصيـده الفنـي كان فيلـمًا واحـدًا اقتبـس أحداثه مـن فيلـم أمريـكي، وقـام ببطولتـه ممثـل مـن نجـوم الصـف الثـاني، وحقـق نجاحًـا طفيفًـا. فقـد كرث عـلي حياتـه للوظيفـة الحكومية حتى ترقـى إلى منصـب نائـب مديـر القـصر قبـل أن يتـم سـحب المنصـب منـه ليعـود خطـوة للخلـف، ربمـا بسـبب هيئتـه المتواضعـة أو بسـبب شـخصيته التـي لم تكـن تؤهلـه سـوى لوظيفـة «الباشـكاتب» تلـك.

بـدأت معرفتـي بعـلي عندمـا كنـت أدرس –دراسـات حـرة– بالقـصر وكان هـو أحـد المدرسـين الذيـن لم نتعلـم منهـم الكثـير.

ألقـى علينـا أسـتاذ عـلي محاضرتـين فقـط معتمـدًا عـلى بعـض الأوراق المكتوبـة التـي كان يدخـل المحـاضرة بهـا ويقـرأ منهـا دون أن يسـمح لأحـد بمقاطعتـه، ربمـا لـكي لا يرتبـك ويفقـد تركيـزه.

- طب ما يدينا الورق ده نصوره ونقراه في البيت وخلاص.

قالهـا زميـلي أمـير، بعـد المحـاضرة الأولى لنـا مـع عـلي السـباعي، وهـو يضحـك سـاخرًا مـن الطريقـة التـي يتبعهـا عـلي في شرح مـادة

السيناريو، فقلت له:

- هو تقريبًا ما قالش حاجة جديدة أصلًا.. نفس الكلام ده اتشرح لنا قبل كده.

- مش عارف علي ده عرف يعمل فيلم ازاي!

- وأنا مش عارف ازاي متخرج من معهد السينما وماعملش غير فيلم واحد ومكتفي بالوظيفة الحكومية دي!

- ده كويس إنه عرف يعمل فيلم.. علي ده ما ينفعش غير موظف يمضي حضور وانصراف.

شعرت أن أمير يتحامل عليه، فقلت له:

- حرام عليك ده راجل غلبان.

- ما أنا عشان كده بقول لك ما ينفعش غير موظف.

كان أهم ما يميز علي هو خوفه الدائم من الآخرين وعدم الوثوق بهم، وهو الأمر الذي ورطه، قبل نحو شهرين، في مشاحنة مع مدير قصر الثقافة الذي انفعل عليه وأشهر طبنجته المرخصة في وجهه وهدده بالقتل بسبب بعض أوراق العمل التي رفض علي أن يعطيها له إلا بعد أن يتخذا جميع الإجراءات القانونية التي تضمن عدم تورطه في قضية اختلاس أو تبديد عُهدة، في حين أراد الفنان المشهور -مدير القصر- أن ينهي الأمر سريعًا لكي لا يتعطل العمل، على أن يتخذا الإجراءات القانونية في وقتٍ لاحق.

طلب مدير القصر الأوراق من علي أكثر من مرة، وفي كل مرة

كان علي يتعلل بحجة جديدة، وجميع حججه غير مقنعة، ففاض الكيل بمدير القصر وأشهر السلاح الناري في وجهه بعد مشادة كلامية بينهما وقبل أن يعفيه من منصب نائب المدير ويعيده كما كان، مجرد موظف من ضمن عدة موظفين مسئولين عن نشاط الدراسات الحرة بالقصر.

- وحضرتك هتعمل أفلام تاني؟

سألت علي السباعي هذا السؤال، بعد ثاني محاضرة لنا معه، ربما لكي أشجعه على الكتابة والبحث عن فرصة أخرى. فقال لي بحماس:

- أه، ده أنا شغال في فيلم دلوقت، قربت أخلصه.

قلت له بنفس الحماس:

- والله! طب كويس، وهتعرف تلاقي منتج بسهولة؟

- أه، هروح للسُبكي.

- هو فيلم كوميدي؟

- أه كوميدي.

فكرت قليلًا وقلت له بتردد:

- بس أنا سمعت إن السُبكي بيشترط موافقة نجم معروف ع السيناريو عشان يرضى ينتجه.

قال لي وهو يحاول أن يبدو واثقًا من نفسه:

- وماله! هجيب له نجم.

لم أقتنع أن علي السباعي يستطيع أن يقنع نجمًا -حتى وإن كان قد قدم فيلمًا من قبل- أن يقوم ببطولة فيلم من تأليفه، وحتى وإن كانت الظروف تتيح له -بحُكم عمله في قصر الثقافة- أن يلتقي ببعض الفنانين الذين يحرص مدير القصر على دعوتهم إليه كنوع من الدعاية للمكان الذي يديره.

وعلى الرغم من عدم اقتناعي بمقدرة أستاذ (علي) على التفاوض مع أي نجم وإقناعه بالموافقة على فيلم من تأليفه، إلا إنني تمنيت -أمنية حقيقية- أن ينجح في تقديم أفلام أخرى وتحقيق النجاح الذي قد يُكسبه ثقة في نفسه ويغير حياته للأفضل.

قلت له:

- ربنا يوفقك إن شاء الله ونشوف الفيلم قريب.

وانتهت فترة دراستي في قصر الثقافة وكنت مطالبًا في نهاية الكورس بكتابة سيناريو فيلم قصير -كمشروع تخرج- سيخضع للتقييم من أستاذ علي السباعي، فتفاءلت خيرًا، ولكنه صدمني بإعطائي درجة ضعيفة وبتعنته الواضح في رفضه لأن أقوم بتعديلات على السيناريو حتى أحصل على درجة أعلى، أو حتى أكتب سيناريو آخر بدلًا من الذي قدمته، ومع ذلك حاولت ألا أكرهه، وأعتقد أنني نجحت.

قبِلت بالدرجة الضعيفة وأخذت الشهادة التي أكد لي بعض الزملاء في القصر أنها لن تفيدني بشيء لأن النجاح في مهنة كاتب السيناريو لا يحتاج إلى شهادة بقدر ما يحتاج إلى شبكة علاقات قوية.

ولم تنقطع علاقتي بقصر الثقافة الذي كنت أراه مكانًا مناسبًا لقضاء بعض الوقت وأنا أبحث عن فرصة لدخول عالم الشهرة. فكنت أذهب إلى القصر بشكل شبه أسبوعي لأشاهد فيلمًا من الأفلام التي تُعرض هناك، وأحاول أن أتعرف ببعض الأشخاص الذين لهم نفس اهتماماتي.

وفي كل مرة أذهب إلى القصر، كنت أرى علي السباعي في نفس مكانه وأسلم عليه وأتجنب سؤاله عن الفيلم الذي قال إنه سيقدمه للسُبكي بعد أن يحصل على موافقة نجم معروف.

كنت قد لاحظت ارتباكه بعدما سألته أكثر من مرة -في وقتٍ سابق- عما إذا كان هناك جديد بشأن الفيلم، ففضَّلت ألا أتحدث مرة أخرى في هذا الأمر على أمل أن يفاجئني ذات يوم بخبر عن اقتراب عرض فيلمه الجديد في دور العرض.

ومر نحو عام وأنا أنتظر المفاجأة، وعندما لم تحدث طاردتني فكرة شديدة السواد، وهي أنني قد أصل لمثل عُمر أستاذ علي ولا أحقق أي شيء من طموحي الفني سوى فيلمًا واحدًا وربما يكون رصيدي السينمائي (صفرًا) لأكون نسخة باهتة من علي السباعي الذي كان مثار سخرية بعض زملائي، وزملائه أيضًا.

أصبح علي السباعي بالنسبة لي أكثر من مجرد موظف وسيناريست مغمور أتعاطف معه، فقد أصبحت أرى نجاحه هدفًا شخصيًا لي؛ لدرجة أنني كنت أجلس مع الفنان المشهور، مدير قصر الثقافة، في مرة من المرات القلائل التي أتيحت لي، وطلبت منه أن يساعد أستاذ علي في الحصول على موافقة نجم مشهور على سيناريو فيلمه ليستطيع أن يصل إلى السُبكي.

- أنا سمعت إن أستاذ علي بيكتب فيلم كوميدي وقرب يخلصه.

- علي مين؟

- أستاذ علي السباعي.

ضحك مدير قصر الثقافة بسخرية قبل أن يقول:

- هو علي بيعرف يكتب؟!

استجمعت شجاعتي وقلت له:

- أه.. ده عمل فيلم قبل كده.

- ما هو سقط، وبعدين ده فيلم مسروق، علي مالوش في الكتابة، علي موظف، وموظف فاشل كمان.

اعتبرت سخرية مدير القصر من علي طعنة لي أنا شخصيًا في أحلامي التي أصبح علي ـدون أن يشعرـ جزءً منها.

وأصبحت رؤيتي لعلي السباعي وهو جالس في مكانه بالقصر تؤلمني أكثر من جلوسي وحيدًا وأنا أفكر في طريقة أستطيع بها أن أجد منتجًا لفيلمي الأول الذي قاربت على الانتهاء من كتابته؛ وهو ما جعلني أمتنع عن الذهاب لقصر الثقافة لبضعة أشهر، قبل أن أقرر الذهاب في أحد الأيام على أمل أن أجد مفاجأة سعيدة من أستاذ علي.

ذهبت إلى القصر ودخلت بخطواتٍ مترددة وفوجئت بمجرد دخولي من الباب الخشبي بأن علي السباعي غير جالس في مكانه، فخمنت أنه نجح في بيع سيناريو فيلمه للسُبكي وحصل منه على

مبلـغ محـترم وتـرك وظيفتـه في القـصر بعـد أن قـرر التفـرغ لكتابـة السـيناريو لتعويـض السـنوات التـي ضاعـت مـن عمـره في الوظيفـة الحكوميـة.

وقفـت في مـكاني قليـلًا وأنـا أنظـر إلى مكتبـه الفـارغ بسـعادة، وكادت عينـاي تذرفـان دمـوع الفـرح وأنـا أشـاهد أحلامـي تتحقـق.

قطَعَـت عـليَّ أفـكاري مـدام سـميحة -الموظفـة بالقـصر- التـي مـا إن رأتنـي حتـى اقتربـت منـي وسـلمت عـليَّ:

- ازيك عامل ايه؟

- الحمد لله، كويس جدًا.. هو أستاذ علي فين؟

نَظَرَت إلى مكتبه والتفتت لي وقالت بلامبالاة:

- أستاذ علي مات.

تمت

العصفور

عـاش حـازم عصفـور سـنوات، ليسـت بالقليلـة مـن عمـره، وهـو يلعـق أحذيـة مديريـه وكل مـن يقابلهـم في طريقـه مـن أصحـاب النفـوذ، حتـى اسـتطاع أن يجنـي ثـروة لا بـأس بهـا مـن أرقـام هواتـف رجـال السُـلطة بمختلـف درجاتهـم، إلى جانـب رصيـد محـترم في أحـد البنـوك، وسـيارة فارهـة بسـائق خـاص، ومرتـب شـهري يصعـب عـلى شرفـاء مهنتـه الحصـول عليـه.

كان يُحسـب «عصفـور» عـلى مهنـة الصحافـة رغـم أنـه لا يسـتطيع أن يكتـب خـبرًا واحـدًا بصياغـةٍ صحيحـة، ولكـن علاقاتـه ببعـض المسـئولين كانـت كافيـة بالنسـبة للكثيريـن ليُكسـبوه صفـة صحفـي ويصبـح عضـوًا بنقابـة الصحفيـين.

كان وجـوده كصحفـي في المؤسسـة التـي أعمـل بهـا أمرًا لا يشـغلني كثـيرًا، فقـد كان بعيـدًا عنـي بقـدر مـا كنـت أبتعـد عنـه، ولا توجـد علاقـة بيننـا سـوى أننـا نعمـل في نفـسِ المـكان الـذي أصبحـت رائحـة الفسـاد تفـوح مـن كل ركـن مـن أركانـه.

وجـاء ذلـك اليـوم الـذي ترقـى فيـه «لاعـق الأحذيـة» وأصبـح مديرًا للقسـم الـذي أعمـل بـه، وتعرفـت عليـه عـن قرب واكتشـفت أنـه ليس مجـرد منافـق عـلى علاقـة ببعـض المسـئولين فحسـب، بـل هـو شـخص يعـاني خلـلًا مـا في وظائـف المـخ يـكاد يصـل بـه إلى حـد الجنـون.

كان حـازم لديـه هـوس غـير طبيعـي باسـتخدام هاتفـه المحمـول الـذي يُعـد رأس مالـه في الحيـاة بمـا عليـه مـن أرقـام هواتـف المسـئولين الذيـن كان يتفاخـر بقدرتـه عـلى التواصـل معهـم والحصـول عـلى تصريحـات منهـم يذهـب بهـا لأي صحفـي ويطلـب منـه أن يكتبهـا لـه

كخبرٍ صحفي عليه اسمه باعتباره هو كاتبه.

بمجرد أن أصبح حازم مديرًا لي، لم يكن يتوقف هاتفي المحمول عن الصراخ المتواصل من مكالماته التي لا تنتهي ولا تنتهي معها طلباته «العبيطة» وأوامره السخيفة وتهديداته غير المباشرة لي بالفصل من العمل، وهو الأمر الذي كنت مضطرًا لتقبله كي لا أخسر وظيفتي، خصوصًا مع نصائح بعض الزملاء لي بأن «آخذه على قد عقله».

حاولت قدر المستطاع أن أُنفذ نصيحة الزملاء. ولكن مع حالة التوتر والقلق التي كان يُصر «عصفور» على أن يجعلنا نعيشها باعتبارنا صحفيين يجب أن نظل مستيقظين 24 ساعة في اليوم ونحن نبحث عن مادة صحفية ثرية، كما قال لي، فقد انفعلت عليه في إحدى المرات وهو يحادثني في الهاتف، فقلت له بغضب:

- يا أستاذ حازم حضرتك بتتصل بيا كتير جدًا ومابيبقاش في أي حاجة تستدعي اتصال!

رد عليَّ بانفعال وصوت مرتعش:

- يعني ايه بتصل بيك كتير؟ يعني ما نشوفش شغلنا؟!

- ما أنا كنت لسه في الشغل من شوية ويادوب لسه راجع البيت.

- وايه المشكلة؟ انت صحفي.. شغلك 24 ساعة.

- مافيش حد بيشتغل 24 ساعة ـ احنا مش عبيد.

- تمام.. أنا بقى هقول لأستاذ مجدي الكلام ده ونشوف رأيه إيه.

ورغم حالة الغضب التي كانت تسيطر عليَّ وقتها، إلا إنني اضطررت لكبح جماح غضبي عندما ذكر اسم رئيس التحرير الذي يعد واحدًا من كبار الإعلاميين ويَعتبر «عصفور» واحدًا من أتباعه المخلصين ولا يمكن أن يرفض له طلبًا. فقلت له وأنا أحاول أن أبدو هادئًا بقدر الإمكان:

- طب اتفضل يا أستاذ حازم أؤمرني.. عايزني أعمل إيه بالظبط؟

ومرت الأيام وأنا أتحمل سخافاته و»غباواته» وعدم قدرته على فهم طبيعة العمل وإصراره الشديد على أن يشعر أنه مدير يتحكم في مرؤوسيه ويُصدر لهم الأوامر التي يجب أن ينفذوها دون مناقشة مثلما اعتاد هو أن يفعل لسنواتٍ طويلة.

عرفت من تعاملي معه أن أزمته الحقيقية تكمن في أنه يعرف كم هو ضئيل وجاهل ولا يصدق أنه أصبح مديرًا في مؤسسة كبيرة مثل مؤسستنا التي احتلها مع رئيس التحرير الجديد الذي كان يتعمد تعيين خادميه مديرين في الجريدة لكي يسيطر على كافة مقاليد الأمور، لذا حاولت في إحدى مراحل تنفيذ نصيحة الزملاء أن أُشعره بأهميته وقيمته كمدير ماهر تم وضعه في المكان الذي يناسب قدراته العظيمة، على أمل أن يتركني أمارس عملي في هدوء ويتوقف عن إزعاجي بمكالماته. . ولكن هيهات!. فقد تزايدت مكالماته الهاتفية وتراكمت المشكلات والمشاجرات التي لم أعتد عليها من قبل، وأصبح القلق يسيطر عليَّ طول الوقت وتزايدت تهديداته لي بالفصل من العمل.

كنت ألجأ، من وقتٍ لآخر، إلى أحد مديري التحرير القدامى

في الجريـدة لـكي يحـاول أن يحـل لي مشـكلة حـازم عصفـور المهـووس بإجـراء المكالمـات الهاتفيـة طـوال اليـوم وفي أي وقـت، ولكنـه _مديـر التحريـر القديـم_ لم يكـن يسـتطيع أن يفعـل شـيئًا أمـام الإعلامـي المشـهور الـذي يظهـر عـلى شاشـة التلفـاز ويطالـب المسـئولين بالقضـاء عـلى الفسـاد والفاسـدين.

وتأزمـت المشـكلة أكـثر وأكـثر، وزادت الضغـوط وسـاءت الحالـة النفسـية حتـى حـدث مـا كنـت أحـاول دائمًـا تجنبـه. . فالكبـت يولـد الانفجـار. . انفجـرت في حـازم عصفـور عندمـا كان يهـددني كالمعتـاد، وتناسـيت مسـئولياتي التـي أجبرتنـي عـلى تحمـل الاسـتمرار في العمل في هـذا المـكان «النجـس»، وأخبرتـه صراحـة عـن نيتـي تـرك العمـل بمجرد الحصـول عـلى راتبـي الضئيـل، وهـو الأمـر الـذي حـاول بعـض الزمـلاء إرجاعـي عنـه.

ألـح عـلي بعـض الزمـلاء لـكي أبقـى وأحتمـل مهـما كانـت الظـروف، وانتهـت المشـكلة عـلى لاشيء مثلهـا مثـل سـابقاتها مـن المشـكلات السـخيفة.

وجـاء اليـوم الـذي دائمًـا مـا يطـول انتظـاره. . يـوم قبـض الرواتـب. فتوجهـت إلى موظـف الحسـابات واسـتلمت راتبـي الضئيـل وعُـدت إلى مكتبـي وجلسـت أمـام حاسـبي الآلي وكتبـت اسـتقالة ذكـرت فيهـا سـبعة أسـباب كلهـا متعلقـة بحـازم عصفـور.

توجهـت إلى مكتـب رئيـس التحريـر الفاسـد وقدمتهـا لمديـر مكتبـه وعندمـا قرأهـا بُهـت مـما كتبتـه فيهـا، ولم أتـرك لـه مـا يقولـه، فتركتـه وانصرفـت.

ورغـم قناعتـي بـأن تقديـم الاسـتقالة مـن هـذا المكان أمـر ضروري إلا إننــي كنــت آمــل أن يحقــق رئيــس التحريــر في الســبع نقــاط التـي ذكرتهـا بشـأن حـازم، ولكننـي فوجئـت بعـد أقـل مـن سـاعتين بأحدهــم يتصــل بي ويخــبرني بــأن مجــدي قبلهــا دفاعًــا عــن كرامــة خادمـه المخلـص الـذي لـن يصـدق يومًـا أنـه أصبـح مديـرًا.

تمت

الفأر

كُنـا قـد قررنـا، قبـل نحـو أسـبوع، أن نتعايـش مـع ذلـك الفـأر الـذي دخـل شـقتنا دون اسـتئذان واتخـذ مـن سـخان المـيـاه، الـذي يعمـل بالغـاز، مسـكنًا لـه.

لم نـر ذلـك الفـأر اللعـين، ولكننـا سـمعنا صوتـه بوضـوح أكـثر مـن مـرة وهـو يتحـرك بداخـل السـخان المُعَلَّـق بالمطبـخ والـذي حاولنـا طـرده منـه -في بدايـة تشريفـه لنـا- عـن طريـق إشـعال السـخان، ولكـن يبـدو أنـه كان فـأرًا متمرسًـا يعـرف جيـدًا أنـه في مأمـن مـن النـيران، فلـم يتزحـزح مـن مكانـه، فاستسـلمنا وقبلنـاه ضيفًـا ثقيـلًا معنـا في الشـقة طالمـا لا يغـادر غرفتـه التـي اختارهـا لنفسـه دون أن يطلـب رأي أحدنـا.

ولكـن يبـدو أن الفـأر شـعر بالملـل مـن البقـاء في مخبـأه فقـرر أن يخـوض مغامـرة أنـا بطلهـا الثـاني. فقـد فوجئـت مسـاء ذلـك اليـوم وأنـا في الشـقة بمفـردي، وبمجـرد دخـولي إلى الحـمام، بـشيء يتحـرك بسرعـة خاطفـة، فعُـدت خطـوة إلى الخلـف لأخـرج مـن الحـمام سريعًـا وأغلقـت البـاب عـلى الفـور، وفكـرت للحظـات قليلـة وأدركـت أن الفـأر قـرر أن يأخـذ جولـة حـرة في الشـقة بدأهـا بالحـمام.

أسرعـت إلى الهاتـف وأنـا أشـعر بخـوف شـديد وأمسـكت سـماعته و... وتوقفـت فجـأة وأنـا مندهـش مـما أفعلـه، وسـألت نفـسي:

- ايه ده؟ هو أنا هتصل بمين؟

شـعرت بالحـرج وتركـت سـماعة الهاتـف وتوجهـت إلى الحـمام وتأكـدت أن بابـه مُغلـق بإحـكام، وعـدت وجلسـت بجانـب الهاتـف وفكـرت في الاتصـال بأحـد أصدقـائي لأسـأله عـما يمكـن أن أفعلـه في

هـذا الموقـف، ولكننـي تراجعـت عندمـا سـمعت صـوت جـرس بـاب الشـقة، فأسرعـت لأفتـح ووجـدت أبي وأمـي قـد عـادا مـن الخـارج، فتنفسـت الصعـداء وشـعرت ببعـض الطمأنينـة ولكـن أمـي لاحظـت ارتبـاكي وسـألتني:

- في إيه؟

- في فار في الحمام.

ردت عليَّ بقلق:

- فار؟ وجه منين؟

- امممم.. أكيد الفار اللي كان في السخان.

تدخل أبي بهدوء وقال لي:

- وماعرفتش تموته؟

نظرت له بدهشة وقلت بشيء من الخجل:

- لأ.

نظـر لي بسـخرية واتجـه إلى المطبـخ والتقـط عصـا المكنسـة اليدويـة المكسـورة وفتـح بـاب الحـمام بهـدوء وأغلقـه مـن خلفـه وأنـا أتابعـه بترقـب؛ وبعـد أقـل مـن دقيقـة اقتربـت بضـع خطـوات مـن الحـمام وأنـا أشـعر بالقلـق وحاولـت أن أنصـت السـمع.

مـرت ثـلاث دقائـق وأنـا لا أسـمع إلا بعـض الضربـات الهادئـة بالعصـا قبـل أن تتسـارع الضربـات ويعلـو صوتهـا الـذي مـا إن انتهـى

حتى سمعت صوت باب الحمام وهو يُفتح لأرى أبي وهو يخرج وقد أعلن انتصاره على الفأر في معركة تخيلتها طاحنة ولم يتخيلها أبي أصلًا.

نظرت إلى أبي وهو يتجه إلى المطبخ بنفس الهدوء ومعه العصا ويعود بها إلى الحمام مرة أخرى وفي يده الأخرى كيسًا بلاستيكيًا وضع فيه الفأر وأغلقه بإحكام ووضعه في سلة المهملات بالمطبخ.

دخلت غرفتي وأغلقت بابها من خلفي، واستلقيت في سريري وحمدت الله أن رغبتي في دخول الحمام لم تكن مُلِحَّة.

استيقظت في الصباح وتوجهت إلى الحمام وبمجرد دخولي من الباب عُدت خطوة إلى الخلف مسرعًا وأغلقت الباب، ووقفت للحظات أحاول فهم سبب ما فعلته حتى تذكرت ليلة أمس وما حدث بسبب ذلك الفأر الذي لا تجوز عليه الرحمة.

وقفت لحظات أمام باب الحمام وأنا أمسك مقبضه بقوة، وأخذت نفسًا عميقًا، وفتحت الباب ودخلت بهدوء وأنا أشعر بالقلق.

أخذت نظرات متفحصة لمختلف جوانب الحمام لأتأكد من أن الفأر غير موجود، وأغلقت الباب وفعلت ما يجب علي فعله قبل أن أخرج من الحمام مسرعًا بعدما فشلت في السيطرة على حالة القلق التي انتابتني.

مرت بضعة أيام لم تنقطع علاقتي خلالها بعالم الفئران، وأنا الذي اعتدت على سماع أصواتها المزعجة وهي تعبث في «مَنْوَر» الشقة وتتخذ من المكيف استراحة لها.

ورغم أن تلك الأصوات كانت تضايقني إلا أنني كنت قد تعودت عليها وتقبلت وجودها في حياتي مثلما كنت تقبلت وجود الفأر في السخان. ولكن الأصوات بدأت تعلو خلال اليومين الماضيين وكأنها تحيي الذكرى الأسبوعية للفأر الذي قُتل في الحمام.

ويبدو أن أمي كانت منزعجة من أصوات الفئران بنفس قدر انزعاجي، فقررت أن تضع لهم بعض حبات الطماطم المحشوة بالسم لكي تتخلص منهم؛ وهي الفكرة التي وجدتها لا تقل عظمة عن فكرة اختراع «السيفون» أو مكيف الهواء.

أحضرت أمي السم والطماطم وقامت بتحضير تركيبة الموت، وفتحت نافذة الغرفة المطلة على «المنور»، ووضعت الطماطم فوق مكيف الهواء وأسرعت لتغلق النافذة التي لم تكن فتحتها منذ أشهر، ولكن أحد الفئران كان مختبئًا خلف المكيف واندفع في حركة عشوائية عندما شعر بحركتها فأغلقت النافذة على إحدى قدميه فأخذ يصرخ بصوت أكثر إزعاجًا، ولكنها تجاهلته رغم أن صراخه لم يتوقف.

أقل من دقيقتين وفهمت سبب صراخ الفأر فتحول صوته المزعج إلى لحن موسيقي مفرح شعرت أنه ينقصه طبلة و«صاجات» مع بعض الآلات المبهجة ليشجعني على الرقص.

استيقظ أبي من نومه على صوت صرخات الفأر؛ وعندما فهم ما يحدث قال لأمي لائمًا:

- بس حرام كده.

ردت أمي بلامبالاة:

- حُرِمت عليه عيشته.. حد قال له ييجي هنا؟!

وانتهت المشاجرة قبل أن تبدأ، ولم ينته صراخ الفأر، فعاد أبي إلى أمي مستنكرًا:

- يعني هنفضل في الدوشة دي؟!

- أعمل له ايه يعني؟!

- افتحي الشباك وسيبيه يجري.

- لو فتحت ممكن ينط جوه الشقة.

لم يرد أبي، واتجه إلى النافذة وفتحها بهدوء فابتعد الفأر وتوقفت صرخاته؛ وأغلق أبي النافذة، وقال لأمي:

- ما ينفعش نعذبه كده.. حرام.

ردت أمي بغيظ:

- طيب أهو غار في داهية.

«غار الفأر في داهية» وأخذ معه إحساسي بالسعادة الذي لم يكن أقل كثيرًا من إحساس الخوف الذي سببه لي الفأر الذي قتله أبي في الحمام.

تمت

عمو مجدي

«الراجل مات وهو زعلان منك!»..

قالها لي صديقي، أحمد شكري، ونحن في طريق عودتنا -أنا وهو واثنين من الأصدقاء- من منزل زميلنا، عمرو مجدي، الذي انتهينا للتو من تقديم واجب العزاء له في وفاة والده الذي مات بشكلٍ مفاجئ.

كنا قد فوجئنا في صباح ذلك اليوم، ونحن في فصل 2/3 بمدرستنا الثانوية، بزيارة والد عمرو الذي كنا نناديه بـ (عمو مجدي)، ويا ليته ما زارنا. فقد جاء بدون أي مقدمات أو أسباب واضحة ليسأل عن مستوى ابنه الدراسي، فسمع إجابات، من أكثر من مُدرس، عن تدني مستواه الأخلاقي بسبب ملازمته لمحمد حسين الذي يجلس بجانبه في الصف الأخير بالفصل ولا يتوقف عن الثرثرة والمزاح معه في الحصص، كما أنهما اعتادا على الهروب معًا من المدرسة، غالبًا بعد الحصة الرابعة وأحيانًا قبلها.

لم نشاهد عمو مجدي عندما جاء إلى المدرسة، ولكننا عرفنا كل ما حدث وكل ما قيل له عن ابنه وعني قبل أن يخرج من المدرسة وسحابة من الحزن تظلل وجهه، ويتوجه -بدون أن يشعر- إلى منطقة العباسية، بدلًا من الذهاب إلى منزله، ليسقط في أحد شوارعها ويلفظ أنفاسه الأخيرة وهو «زعلان مني» لأنني أفسدت أخلاق ابنه، رغم أن ابنه هو من كان دائم التحريض لي على الهروب من المدرسة.

علاقتنا بعمو مجدي كانت مختلفة عن علاقتنا جميعًا بآباء بعضنا البعض، فقد كان يلعب معنا الكرة كل أسبوع، وبالتحديد

يـوم الخميـس بعـد عودتنـا مـن المدرسـة، كـما أنـه كان يذهـب معنـا لأداء صـلاة الجُمعـة التـي لم يكـن يصـلي غيرهـا.

بالطبـع كان وجـود عمـو مجـدي معنـا -سـواء في ملعـب الكُـرة أو في صـلاة الجمعـة- مُقيِـدًا لنـا، فكنـا نحـاول أن نظهـر أمامـه عـلى غـير حقيقتنـا، ففـي وجـوده نتجنـب معاكسـة الفتيـات في الطريـق ونمسـك ألسـنتنا لـكي لا نشـتم أو نتلفـظ بـأي ألفـاظ خارجـة، مـع أنـه هـو نفسـه كان يشـتم أحيانًـا، وخصوصًـا ونحـن نلعـب كـرة القـدم التـي كان يـرى نفسـه مميـزًا فيهـا _عـلى عكـس الحقيقـة_.

كان يعتقـد عمـو مجـدي أنـه بلعبـه معنـا ومرافقتنـا في بعـض الأماكـن يجعلنـا نحبـه ونرتبـط بـه ونحترمـه ونبتعـد عـن ارتـكاب أي أفعـال مشـينة، إلا أن الأمـر جـاء بنتيجـةٍ عكسـية، فقـد كُنـا أحيانًـا نتعمـد ارتـكاب الأخطـاء في وجـوده ودون أن يلاحـظ، وننظـر لـه نظـرة اسـتهزاء، خصوصًـا عندمـا يتناقـش معنـا في أي موضـوع ويحـاول أن يبـدو أمامنـا وكأنـه يعـرف كل شيء في الحيـاة.

ولم تكـن نظرتنـا لعمـرو أفضـل كثـيرًا مـن نظرتنـا لوالده الـذي اعتاد أن يدللـه لدرجـة جعلتـه يعتقـد أنـه أفضـل منـا جميعًـا في كل شيء. وربمـا لـو كان عمـو مجـدي بعيـدًا عنـا لكنـا اعتبرنـا عمـرو صديقًـا حقيقيًـا رغـم عيوبـه الكثـيرة.

ومـات عمـو مجـدي ولم نحـزن لفراقـه وإن كنـا تعاطفنـا مـع عمـرو الـذي أصبـح يتيـم الأب.

كانـت مشـاعرنا جميعًـا محايـدة، حتـى وإن تظاهـر صديقنـا المنافـق، حسـام غريـب، بالحـزن عليـه، وحتـى لو قـال لي أحمد شـكري:

- الراجل مات وهو زعلان منك.

نظرت له بدهشة وقلت:

- يعني إيه؟

- ما هو لما جه المدرسة كل المدرسين قالوا له إن انت اللي مبَوَّظ ابنه، فمات وهو زعلان منك.

قلت له بدهشة واستنكار:

- أنا اللي قتلته يعني؟!

- لأ مش قصدي.

- أومال قصدك ايه؟ قصدك إنه مات من الزعل بسببي؟

- يا عم لأ مش كده.. بس مات وهو زعلان منك.. يعني زي ما يكون مات وهو مخاصمك.

قلت له بدهشة حقيقية:

- طب وايه يعني؟

ابتسم رغمًا عنه وقال:

- عادي بالنسبة لك يعني؟!

- أيوه، ايه المشكلة؟

- مش عارف أفهمها لك ازاي!

أردت أن أنهي المناقشة التي عجزت عن فهمها فقلت له بحزم:

- مافيـش حاجـة تتفهـم، الراجـل نصيبـه كـده، والـكلام الـلي سـمعه في المدرسـة مـش حقيقـي، مـا انـت عـارف، عمـرو مجـدي ماكنـش ملاك قبـل مـا يقعـد جنبـي ونتصاحـب أنـا وهـو، ولما كنـا بنـزَوَّغ مـن المدرسـة كنـا بنـزَوَّغ عشـان هـو ماكنـش بيطيـق يقعـد في أُمَهَـا، ومـن قبـل مـا يقعـد جنبـي في الفصـل كان مقَـضي الحصـص هـزار وضحـك.

- يـا عـم أنـا مـش قصـدي حاجـة وربنـا، بـس الراجـل الـلي مـات النهـارده ده مـات وهـو زعـلان منـك.

بـدأت أشـعر بالتوتـر مـن كـثرة تكـراره لهـذه العبـارة، فقلـت لـه بعصبيـة:

- هو عمك مجدي ده كان من أولياء الله الصالحين؟!

ضحك ولم يرد عليِّ، فتابعت:

- رد عليًّا بجد، هو كان من أولياء الله الصالحين؟

- أكيد لأ.

- يبقى غار في ستين داهية وخلاص والموضوع انتهى.

التـزم أحمـد شـكري الصمـت وليتـه مـا فعـل. فقـد أكملنـا طريقنـا ونحـن صامتـين جميعًـا، وهـو مـا منحنـي فرصـة للتفكـير في معنـى أن يرحـل الرجـل عـن عالمنـا وهـو «زعـلان منـي»... ولم أفهـم شـيئًا.. فشعرت بـالخوف.

تمت

«أي تشـابه بـين شـخصيات وأحـداث هـذه الأعـمال وأية شـخصيات وأحـداث عـلى أرض الواقـع هـو مجـرد صدفـة غـير مقصـودة»

محمد شريف

أعمال أخرى للكاتب

بنات عائلات محترمات (مجموعة قصصية)

بتوع الأفلام (مقالات فنية)

قميص مشجر (مجموعة قصصية)

تذكرة سينما (مقالات فنية)

للتواصل مع الكاتب

mohamedsharif1987000@gmail.com

الفهرس

استرونج إندبندنت..........5
الطريق..........19
انترفيو..........31
الحادثة..........43
كومبارس..........51
جلالة الملك..........65
سلامة بخير..........71
النافذة..........85
الباشكاتب..........93
العصفور 103
الفأر 111
عمو مجدي.......... 119